

الطبيب محمد الطيب

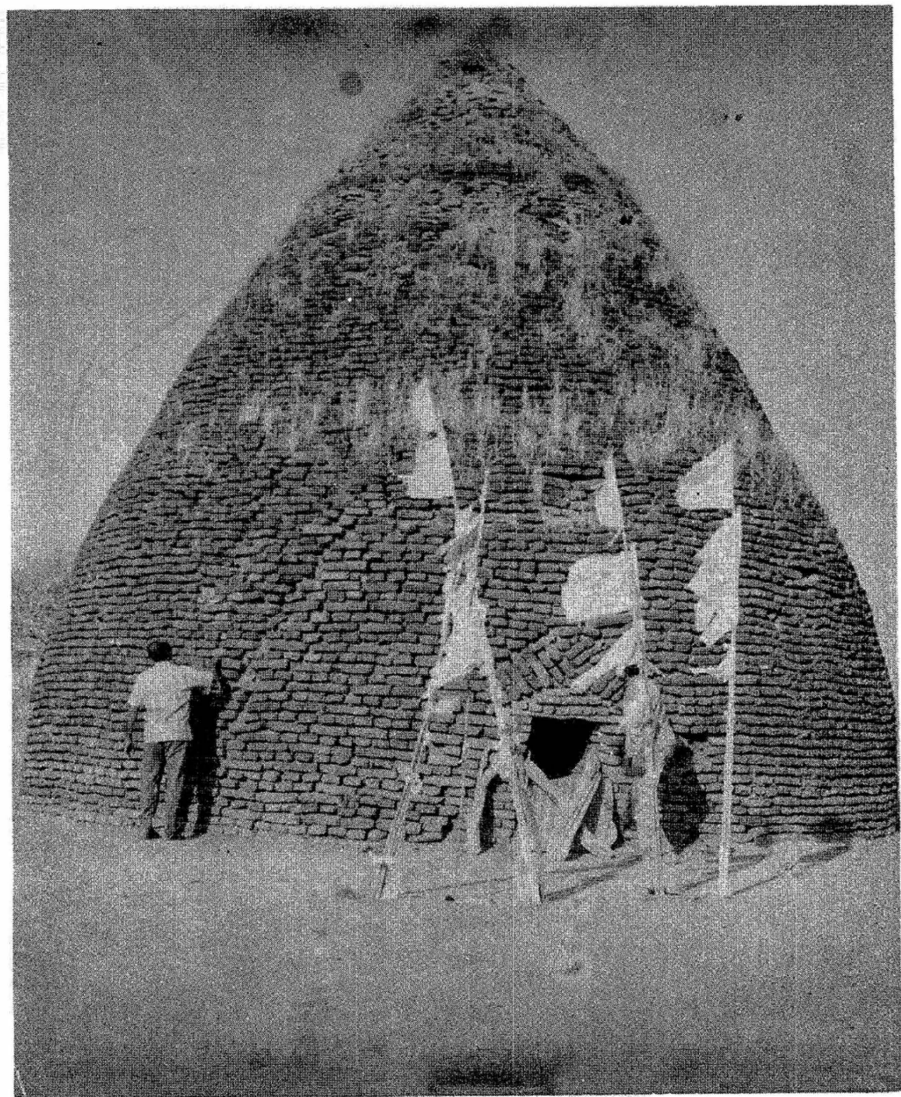
حلّال المشبوك

الطيب محمد الطيب

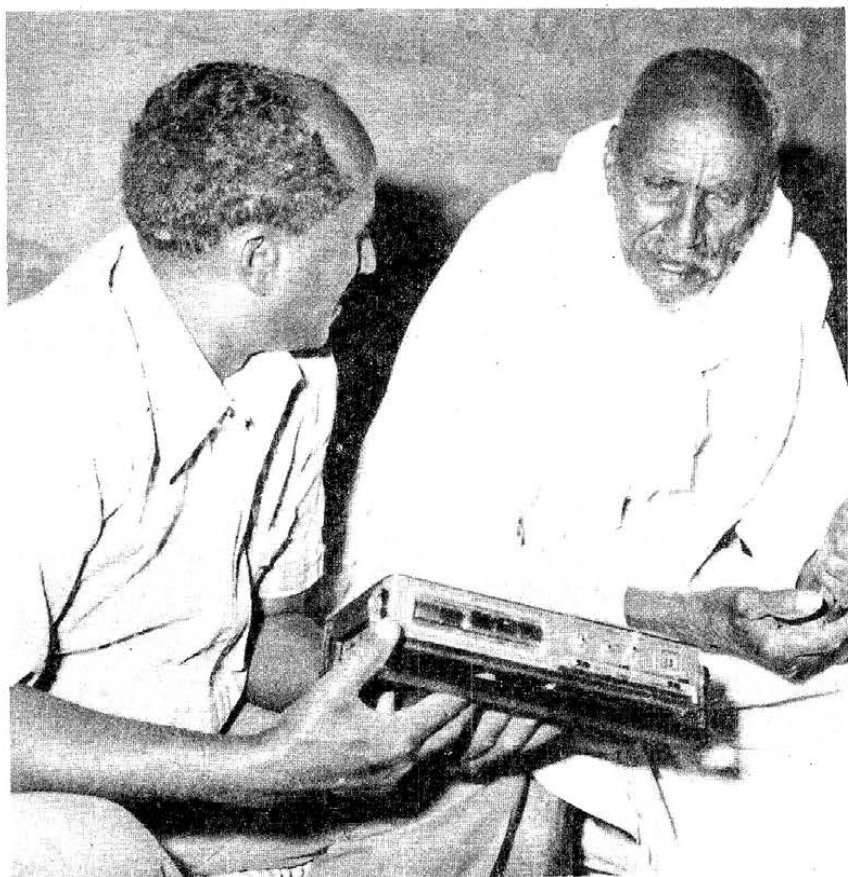
حَلَالُ الْمَشْبُوكِ

فرع رد تکتولہ

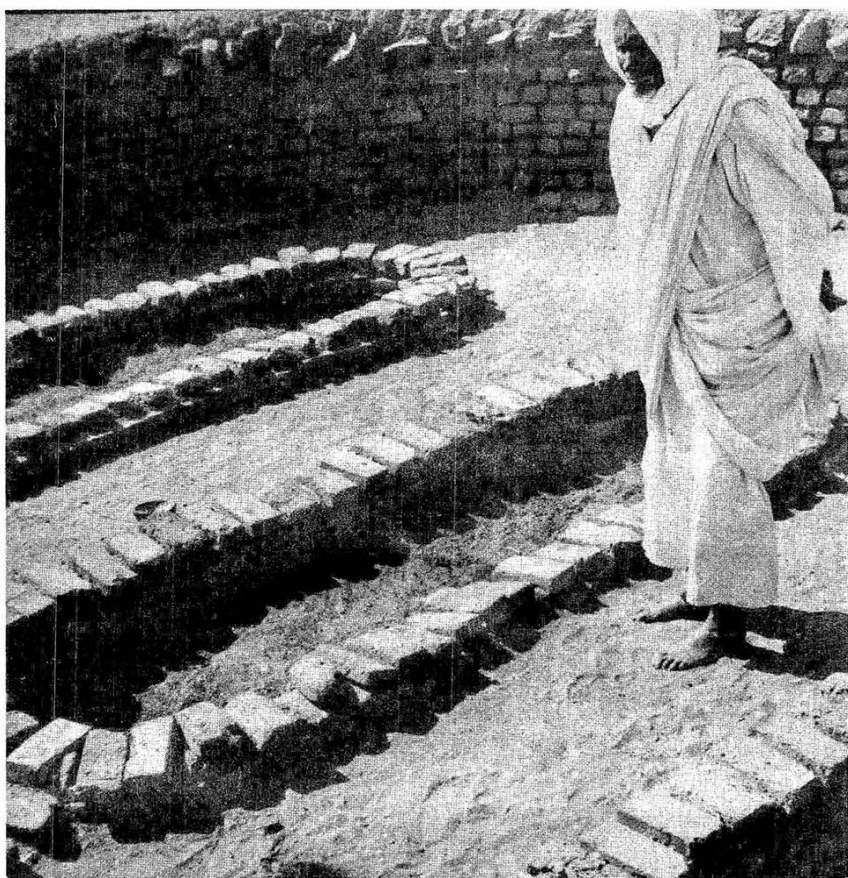
۱۰۶۷ — ۱۱۴۷ھ



قبة الشيخ عبد القادر راجل ام قزازة



محمد ابراهيم من احفاد الشيخ فرح ود تكتوك



قبر الشيخ فرح

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول
الله عليه وسلم .

هذا تاريخ الدولة القونجية بالمدينة السنارية حماها الله
تعالى أولهم السلطان عمارة دونقس ولد سنون قتل للملك
حسب الله العتجاوى وملك القرية وأخذ منه الملك ومكث
فيه اثنين وأربعين سنة ثم تولى بعده الملك ابته نايل ، ملكه
سبعة عشرة سنة ثم تولى بعده الملك عبد القادر وملكه
عشرين . . الخ .

نسخة معدلة بواسطة



تاريخ ملوك القونج وثيقة الشيخ عبد القادر الشيخ حمدان اليمقوباي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

صلى الله عليه وسلم

هذا تاريخ دولة الفخمية بالحكمة السنية حماها
الله تعالى وولم يسلط ان عماد دولتها ولد بساكن قتل الملك
دعاه الله الملك في ملكه الفرية واخذ منه الملك ومكن فيه
الشيء في سنة ثمان تولى بعده ابنه الملك بالي حلقته سبعة
عشر سنة ثم تولى بعده الملك عبد القادر طاعته عن ابائه ثم تولى
بعده الملك عمارة بن يوسف بن ابي القاسم بن ابي
دعاهم ثم تولى بعده تولى الملك دكنة بن ابي القاسم بن ابي
تسعة عشر سنة ثم تولى بعده الملك دوزنة وملكه
ثمانية عشر سنة ثم تولى بعده الملك طبل بن عبد القادر بن عبد
القادر وملكه سنة ثم تولى بعده تولى الملك او ثمانية
ولده وملكه اثنا عشر سنة ثم تولى بعده تولى بن عبد القادر
ولاه سنة وملكه ثمانية عشر سنة ثم تولى بعده تولى بن عبد القادر
ولاه سنة وملكه اربعة عشر سنة ثم تولى بعده تولى بن عبد القادر

من قصيدة الشيخ عبد القادر راجل. امقزازه في رده على الشيخ فرح

ولا يبتغل النجوة الا شقى //

فهم والله من نبتة دنس

نبات من ذر حنا ظل

وجئت يا اخي معتذرا غرر

ويقبل الكبار والصغار

فاجمعهم وانها هم

وصلى الله خالقنا تعالى

اتتهى جواب الشيخ فرح وهذا رد جواب

الشيخ عبد القادر كالاتي

المنسوبة الى البطاحين

فاسئل خاتم المرسلين

فلما رد هذا كان الموت في الحين

اتتهى علي سبل الاختار

وابناء الزنات الخائبين //

ونبات من ارنل الارزكين

كما البطيخ يبتغي البنيان

القبول فصل الصالحين

ويرضى الله رب العلمين

عن الحق المبين

على طه امام المرسلين

اتتهى جواب الشيخ عبد القادر كالاتي

المنسوبة الى البطاحين

فاسئل خاتم المرسلين

فلما رد هذا كان الموت في الحين

اتتهى علي سبل الاختار

اوسب وفاته الصابته همه

اقامت فوق . في ايام وتوفى بالحد وهو

باليوم السادس اول الظهر من اربعين

في شهر ربيع الثاني سنة سبع و

اربعين بعد الماء والافاضة الهجر النبوية

علي صاحب افضل الصلوة وازكي التسليم

وكان بعد ما صل الظهر تشهد وقر سورة

الاخلاص ثلاث مرات وتوفي ودفن بظهر

الاشعبي واصل عليه خلقا كثير كرا لا لفرعوه

حور هذه الوثيقة محمد بن محمد تلميذ الشيخ فرح وذلك ساعة وفاة الشيخ

فهرست

الفصل الاول

- ١ تمهيد
- ٢ حلال المشبوك
- ٣ السلطنة الزرقاء
- ٤ خراب سوبا
- ٥ القونج
- ٦ السلطان سليم
- ٧ البطاحين
- ٨ اساتذة الشيخ فرح

الفصل الثاني

- ١ الوضع الاجتماعي
- ٢ المرأة
- ٣ زواج ابنته
- ٤ سلوك الشيخ
- ٥ أصحابه
- ٦ العلم
- ٧ مناظره
- ٨ الزباله

الفصل الثالث

- ١ الحكمة والفراصة
- ٢ الرجال
- ٣ النساء
- ٤ الفقير والامير

الفصل الرابع

- ١ الشعر
- ٢ طريق الشيخ
- ٣ العلم
- ٤ باب السلطان
- ٥ الدهر
- ٦ عبد القادر
- ٧ الصبر
- ٨ الصفات والايمان
- ٩ المعشر
- ١٠ الفراق

تقديم

القاضي دشين ، الخطيب عمار ،
عبد الماجد وحمد الأغيش ، حمد
ودأم مريوم ، عجيب المانجل ،
فرح وديكنوك ، السلام عليكم :
آباءى .. أهل الخير والصلاح
يا من بدتم ظلام تلك الأيام وما زال
ضوء كلمكم يهدى إلى طريق الحق
والصواب اهدى هذا الأسطر
والكلمات التى هى منكم والىكم .

الطيب

الفصل الاول

تمهيد :-

فاطمة بت فاطمة جدتى لابی امرأة لها شخصيتها المميزة بين نساء قريتها ؟ اذ تحسب أنها واحدة من النساء اللاتي اشتهرن بحب العمل والكدح ، ثم اشتهرت بأنها راوية ومحدثة ثم مغنية فى المناسبات الكبيرة التى تهم عشيرتها . وتزعم تلك الجدة أن أهل أمها فقراء « يروبون الماء » هذه الاسباب جعلت لها مكانة اجتماعية كبيرة وسط أهلها ومن ثم كانت مسموعة الكلمة نافذة الاشارة على الكبار والصغار .

وسمعت اسم الشيخ فرح ود تكتوك لأول مرة من جدتى تلك اذ كنا نتحلق عندها كل أمسية لنسمع الحجا والقصص والحكايات المشوقة . . التى كانت تقصها بأسلوب درامى جذاب ولا أنسى المواقف التى تتطلب أن يؤدى البطل فيها مقطعا غنائيا . كانت تتمهل وتتهدج فى ترديد وترجيع الاغنية بصوتها الرنان ومن ضمن حكاياتها لنا قصة الشيخ فرح وود أب زهانة . . وكنا نحسب أن الشيخ مثل الفول والسلوة والدكع وفاطمة القصب الاحمر ؟ (١)

وظل هذا الاعتقاد عندى ردحا من الزمن ثم تأكد عندى أن الشيخ شخصية حقيقية من كثرة ما سمعت عنه وثبت ذلك عندى من غير شك بعد أن سمعت فى منتصف الخمسينات حديثا كثيرا من خالى مصطفى على شبر الذى أقام قرابة

(١) السلوة - السلعة - الدكع - فاطمة القصب الاحمر - ثلاثها من القصص الشعبى المعروف فى وسط السودان وتدخل فى اطار الاحاجى ولا تغلو تلك القصص والحكايات التوجيه الاخلاقى الذى يرضاه المجتمع

الاربعين سنة فى قرية الشيخ فرح . ثم كلفتنى شعبة أبحاث السودان سنة ١٩٧٠ أن أعد كتابا عن حياة البطاحين وشرعت فى جمع المعلومات الاولية عنهم وحسب خطة شعبة أبحاث السودان ينبغى على أن أطوف عليهم فى أماكنهم وبدأت بعاصمتهم أبودليق وما حولها ثم أبرق - أب زليق - المايقوما - الحاج يوسف - ثم زرت قراهم الواقعة شرقى النيل الازرق مثل ود ساقرتة والفعج . ثم ذهبت لسنار وجبل موية والمناقل ثم أربجى والسديرة وبقية أطراف الجزيرة المروية وتسنى لى خلال هذه الرحلات التى دامت حوالى عشرة شهور جمع معلومات عن البطاحين كمجموعة وكان فى كل مرة أسأل فيها الرواة والمحدثين عن أخبار أسلافهم يرتفع اسم الشيخ فرح شامخا قويا .

وجدت عندى بعد الفراغ من أعداد كتاب التراث الشعبى لقبيلة « البطاحين » . شتاتا من المعلومات حفزتنى لمواصلة البحث عن سيرة هذا الرجل وزرت بعدئذ سنار وما حولها ست مرات وفى كل مرة كنت أجد بعض المعلومات الجديدة عنه . وبعد أن حصلت على تلك الروايات الشفهية رحلت أسأل عن بعض آثاره المحفوظة فلم يخيب أهل الفضل ظنى . فوجدت بضع مخطوطات تحدثت عن سيرته ودونت أقواله وكان أهمها مخطوط. الشريف يوسف الهندى المسمى (تساج الزمان فى تاريخ السودان) باب تراجم الاولياء .

كذلك مخطوط الشيخ الحسن محمد طلحة بودساقرتة ناحية رفاعة يوسف بسنار «عمارة البطاحين» ومخطوطات - فرح مخطوط الشيخ الحسن محمد طلحة بود ساقرتة ناحية رفاعة

يوسف بسنار « عمارة البطاحين » ومخطوطات - فرح
القاسم - « كساب الجعليين » والاخير من أحفاد الشيخ فرح
وأكثرهم حفظا لمآثورات الشيخ وبحوزته وثائق مهمة جدا
أطلعنى عليها مشكورا .

ثم وجدت بعضا من أخباره فيما كتبه المستر « هيللسون »
(السودان فى رسائل ومدونات) وما كتبه نعيم شقير فى
كتابه « جغرافية وتاريخ السودان » وأيضا كتاب « تاريخ
الثقافة الغربية فى السودان » للدكتور عبد المجيد عابدين
ثم كتيب الاستاذ أبو القاسم محمد بدرى عن الشيخ فرح
ومن خلال هذه المصادر وغيرها كانت مادة هذا الكتاب التى
أضعها بين يدي القارئ ، أرجو أن تكون خالية من الشوائب
التى ينسجها العامة حول سيرة هذه المجموعة من رواد
الثقافة الاولين . ثم ان الكتابة عن المشائخ أصحاب المكانة
الكبيرة فيها كثير من المزالق ولا سيما ان كان الحديث
موجها لجيل بعدت أكثريته عن التراث أو عنها ابتعد مما
يستدعى مخاطبتها بأسلوب سهل خال من الاثارة
والتهويل . . وهذا ما حاولته وأعوانى
عليه سلوك الشيخ فرح الذى كان متميزا بالبساطة والجد .
أقواله وأشعاره :

أما أقواله وأحاديثه فقد كتبتها كما وجدتها وفيها المستقيم
والمضطرب « الشعر بصفة خاصة » وظنى أن للرواة يد فى
ذلك الاضطراب والوهن ولم أحاول تقويم أى شىء منها
ولعل هذا يقع فى الغد على من يتصدون لمثل هذه الدراسات
وأعتقد أن حياة الشيخ فرح تتسع للمزيد من البحث

والاستقصاء وكل جهد يضاف الى هذه المحاولة تنعكس آثاره
فى تجسيد شخصية شيخنا فرح الذى أثرى حياة معاصريه
ولا زال مؤثرا حكمة وقدوة ورمزا للمثقف السودانى فى
مواجهة تحديات عصره .

هذا وقد أجهدت نفسى فى العثور على بعض من آثاره
ووجدت الاشارات اليها فى مخطوط « تاج الزمان » وفى
الروايات الشفهية الاخرى .
حلال المشبوك

أطلق عليه هذا اللقب بعض مشائخ ذلك الزمان والقصة
المتعلقة باللقب لاتخلو من الطرافة .

حكى أن الملك أونسه كانت له علاقة صداقة مع الشكرية
وفى مرة أهدوه جملا (أصيلا) فأعجب به غاية المعجب
وخصص له جماعة من الخدم أوقفهم لخدمة الجمل ، وعودوه
أكل اللحم والتمر وشراب اللبن والسمن وخصص له مراحبا
من البقر لشرابه .

وذات ليلة كان الامير بين ندمائه يحتسون الخمر وكانوا
يتجاذبون الحديث عن المشائخ وكراماتهم .

هذا يطير فى الهواء وذاك يمشى على وجه الماء وثالث يحيل
الماء لبنا وغير ذلك مما هو شائع وقتذاك وفاجأهم الملك
قائلا :

طيب يا جماعة اذا كان الفقرا يفعلون كل هذا فهل فى
امكانهم أن يعلموا هذا البعير القراءة والكتابة ؟
فقالوا بصوت واحد نعم أطال الله عمر الملك يفعلون هذا
بالتأكيد . قال : اجمعوا فى الصباح كل الفقرا .

وفى الصباح توافد بعض الفقرا على قصر الامير وهم لا يدرون لاي سبب جىء بهم . ولما اكتمل عددهم ادخلوهم على المك فعكى لهم (المقدم) السبب الذى دعوا من اجله . وقدم لهم البعير بهذه العبارات :

هاى يا الفقرا . . يا اهل الدائرة - ابان وجوها نايره - يا البتعر فوا الراكاة - والطايرة . طلب المك منكم مو كثير ولا هو كبير - فقط تعليم البعير . والبعير يا اهل الدائره - أصهب ود أصهب وأمه حرة بشارية وهو ود (مية) يعنى بالصريح الفصيح البعير ابن ريح (١) .

الفقير : أدام الله مجد أمير المؤمنين . وناصر الحق والدين ومبدد شمل المخالفين ، نطلب منكم مهلة مقدارها يومين . فهمس المقدم فى أذن الامير ورفع رأسه مخاطبا الفقرا : المقدم : أدام الله عز حامى سنار ، وقاهر الاعداء الفجار قبل عذرکم ليومين فلا يكون بعدهن عذر ولا تأخير أشربوا القهوة وأعطونا الفاتحة .

فلما خرجوا من عندهم تلاوموا وتحاجوا من الذى رماهم فى هذه الورطة . وصاح بهم فقير حاضر البديهة وقال لا يخرجكم من هذه الورطة الا فراح ود تكتوك فأمنوا جميعا على قوله .

وانطلق رهط منهم يطلب (المركب) فباتوا ليلتهم بحلة « الحجيرات » عند الشيخ فرح ولم يعطوه فرصة ليسألهم عن

(١) ابن ريح - هو البعير الذى يكمل تمام المائة فيزعمون انه بن ريح يعنى بن الجان فيكون نادر المثال .

سبب - حضورهم فحكى له القصة أفصحهم وأدقهم تعبيراً
والبقية يؤمنون ويحوقلون !!

فقال لهم فرح الامر فى غاية البساطة والسهولة أنا أقوم
بهذه المهمة نيابة عنكم .

.. دا الحين اذهب معكم ..

وفى اليوم المضروب تجمهر الفقرا أمام القصر وحولهم
حشد من الاتباع بجبيهم وأباريقهم ومسابحهم ينادى مناد
أدخلوا أيها الفقرا .

ولما أخذوا مجلسهم دخل عليهم الامير فسلم وردوا عليه
التحية بأحسن منها .

فبادرهم المقدم : ان شاء الله رجعتم بالامر الذى يسر
الامير .

الفقرا : نعم أتينا بفرح ولد تكتوك

المقدم : فرح شن معناه فقير الترابلة والرعاوية (١)

دا أمرا صعب يافقرا فكروا سمح

الفقرا : فرح مأمون يامقدم على البعير ما عندنا أى شك
فى ذلك .

فرح يقف ويخاطب المقدم : أنا مسئول عن أمر هذا البعير
أمام مشائخي الفقرا وأمام الامير فالطالب عندنا نعلمه
الكتابة والقراءة فى أربع سنوات وها البعير نعلمه القراءة
والكتابة أيضا فى أربع سنوات .

المقدم : وان لم يتعلم ياشيخ فرح ؟

فرح : يفعل الامير ما يراه بالفقير .

(١) الترابلة - المزارعون والكلمة ربما كان اصلها نوبى - مفردها تربال

المقدم : يهمس فى أذن الامير ويرفع رأسه : قبل طسويل
العمر شروطك فقام معه وحولهم الفقرا والجند وسلمه البعير
ومعه مراح البقر وبضعة شوالاات من التمر وعدد من الخدم .
وخرج فرح مشيعا بعبارات الشماتة والحسد حتى وصل
حلتة . وبعد أيام ذهب له جماعة من الفقرا يسألونه أجد أم
هزل ما فعله . فقال لهم أبوك ياجاه الرسول .

أنا البطحاني

العارف باطن الزمانى

تمضى هذه السنوات الاربع وينفذ القدر

اما فى الامير

واما فى الفقير

واما فى البعير

والقصة تكشف عن شجاعة الرجل وتقديره للأمور لانه
يقرأ الحوادث ويتفرسها ويعلم علم الخبير أن حكم هذا المك
غير المستقيم لايدوم الا أياما .

وقد حصل ما توقعه الشيخ فهلك الامير ولحقه بعد عام
البعيرى وسلم الفقير . .

فلقبوه منذ ذلك اليوم بفرح ود تكتوك - حلال المشبوك .
والراجع أن الشيخ فرح ود تكتوك عاصر هذه الحقبة التى
تعاقب فيها خمسة أو ستة من سلاطين الفونج وكان أهمهم
بادى أبو دقن وأونسه وبادى الاحمر - ويرى الشيخ المكاشفى
البطحاني والشيخ الطيب سالم وفرح القاسم (١)

(١) تاريخ ملوك الفونج نقلا عن وثيقة الشيخ عبد القادر الشيخ حمدان خليفة اليعقوباب
بقرية العجاج شمال غرب سنار

أن الشيخ فرح عاش عمرا ناهز المائة سنة واستمد شيخنا
تجاربه وفلسفته العميقة في الحياة من هذا الواقع المتقلب
الذي لا يبقى على حال .

سنار

« أمانه يا سنار

الفيك العلماء والخيار

بعد الحال

يبين فيك خبار

بينوك بالعجار

ويمرقوا منك النار ،

بان الخبار في سنار . . وأستخرج أحفادك
اليوم النار من بحر سنار ، وأشادوا
المعمار ، وجلبوا أحدث ما أنتجه العقل المعاصر ، فالكنات
الجبارة والمصانع تتناثر هنا وهناك والحياة زاخرة تتحرك
في كل لحظة فتم قريرا يا أبانا فقد تحقق بالعربي ما أشرت
اليه وثبت فراستك وبعد نظرك ومازلنا نرى من خلال
استشرافك المستقبل الامل والرجاء المدعوم بالعمل الجاد
المخلص .

لذلك كان علينا لتقريب صورة الشيخ فرح أن ننظر ايضا
في الاطار المحيط به . فشيخنا كان من الصفوة المؤثرة في
الحياة السياسية والاجتماعية أيام السلطنة الزرقاء . .
هتري في شعره وحكمه صدى للحالة السياسية والاجتماعية
التي عاصرها فلعلنا بأستعراض القمم القيادية في تلك
الحقبة نرى المزيد من الاضواء التي تهل من صورة شيخنا

فرح •

هذا وقد قسمت الكتاب الى أربعة فصول •

الفصل الاول :

يشمل السلطنة الزرقاء الفونج - والحكام الذين عاصروهم
الشيخ كاطار عام لصورته ولفهم شعره وحكمه وأقواله
وكذلك يتضمن هذا الفصل لمحات عن نشأة الشيخ وبيئته
وأسرته •

الفصل الثانى :

الوضع الاجتماعى والثقافى - سلوك الشيخ العام والخاص

الفصل الثالث :

مناظرته مع الزبالة والمسلمى

الحكمة - الفراسة - الرجال - النساء - الفقراء •

الفصل الرابع :

الشعر - العلم - ود أم قزارة - الصبر - نصيحة الخ ••
والفضل والشكر كله للشيوخ والاباء الاجلاء الذين
منحونى ذاكرتهم فتسكنت فى رحابها متشجعا بعفويتهم
وحبهم لسيرة الشيخ •

وكلمة شكر للاستاذ الفنان تاج السر أحمد الذى عبّق
بريشته ذكرى تلك الايام الفواحة فى تراثنا •

والتقدير والشكر للصديق الاستاذ يحيى العوض الذى قرأ
مسودة هذا الكتاب وصوبنى اضافة وحذفا والى كل من
أعاننى بحرف أو كلمة الفضل والشكر •

محبكم

« الطيب »

السلطنة الزرقاء

الحديث عن فرسان السلطنة الزرقاء • احدى رايات تاريخنا الشامخة أبدا •

اطار عام فى محاولة تجميع أضواء من صورة شيخنا فرح ود تكتوك •

ان سودان اليوم كان علما منذ عهد — حيق عرفه •
الفراعنة — الرومان — الاغريق — الاحباش — ثم العرب وغيرهم •

كما عرف أيضا بأسماء دول وممالك عدة أهمها : كوش — نبتة — مروى — مقره — علوة — الخ ••

ويقول علماء التاريخ ان دولة كوش ببلاد النوبة يرجع تاريخ ظهورها الى حوالى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد وعاصمتها « نباتا » ثم انتقل الكوشيون الى مروى (كبوشية) وظلت مروى عاصمة لهم مدة من الزمان (١)

ثم قامت فى البلاد ممالك أخرى أهمها بالنسبة لهذا البحث الدولة المسيحية المعروفة باسم (علوة) وعاصمتها « سوبا » جنوب شرق الخرطوم ببضع كيلو مترات وما زالت آثارها باقية حتى اليوم •

وعلوة هى الدولة التى قامت على أنقاضها الدولة السنارية المعروفة باسم السلطنة الزرقاء ٩١٠ هجرية — ١٥٠٤ ميلادية وكان على رأس هذه السلطنة الزرقاء السلطان الاول عمارة بن عدلان المشهور بعمارة دونقس أو دنقس

(١) الاسلام والنوبة — دكتور مصطفى مسعد

وهو كما وصفته وثيقة ال الشيخ عيساوى (١) رجل مكتمل الخلق والخلق قوى البنية ذكى الفؤاد وشجاع مقدم ، وكان قبل تصديه للسلطة يقيم فى النيل الازرق فى المنطقة المعروفة ب « خور الملكو » (٢)

كان يقوم بتدريس القرآن وعلوم الفقه والشريعة المتيسرة فى ذلك الزمان ولما تجمع حوله عدد من الناس مال اليه أيضا زعماء القبائل حتى ضاق بهم المكان . ثم انتقلوا الى منطقة جبل موية ، وسقدي غربى سنار وبعد أن استقر أخذ يخاطب زعماء العشائر الاخرين فى شمالى البلاد ومن حسن حظه أن لقي رجلا مقداما أشد منه حماسة وأكثر نفرا ذلك هو الشيخ عبد الله القرين القواسمى ، المشهور بعبد الله جماع . حيث جمع القبائل العربية ووجد كلمتها واقتحم بهم « سوبا » وكان القضاء المبرم على تلك المملكة بواسطة عمارة وعبد الله ومن والاها من العشائر العربية وغيرها .

ثم تشاوروا فى كيفية ادارة هذا القطر الواسع فتم الاتفاق على أن يتولى الشيخ عمارة ادارة الجزء الجنوبى من البلاد . ويحد من الشمال بمنطقة (أريجى) جنوب الحصاصا الى منطقة بنى شنقول فى الجنوب الشرقى وغربا حتى ممالك النوبة .

(١) علمت مؤخرا أن الوثيقة قضى عليها حريق شب فى المكان

(٢) خور الملكو - رافد يصب فى النيل الازرق شمال سنار

وشرقا حتى بلاد « التاكا » والقدين (١)
أما الشيخ عبد الله جماع فوقع عليه عبء ادارة الجزم
الشمالى الذى يبدأ من أربجى والى الحدود الشمالية بالقرب
من صعيد مصر وشرقا حتى حدود سواكن وغربا
حتى المسبغات - شرق كردفان - أو نحو ذلك .

وأصبح السلطان الاول عمارة دونقس والثانى عبد الله
جماع كما تقول أغلب الروايات . ثم شرع
كل منهما يضع البرامج والخطط للنهوض
بأقليمه فملكا الملوك وعينا المشائخ والمقاديم والجنود
والعسكر ونحوهم من الاعوان الاداريين فى ذلك الوقت ،
وأصبح الاقليم الجنوبى يعرف بمملكة الفونج والآخر
بمملكة العبدلاب . الاولى عاصمتها « سنار » .

وعاصمة العبدلاب اختاروا لها المكان المعروف بالعقبة
« قرى » وهى قرية تقع شمال (الجبلى) فى يمين النيل عند
سفح جبل « الرويان » بالقرب من شلال السبلوقة . ولم
يق من « قرى » اليوم الا اشارات على قمة الجبل وضريح
الشيخ عجيب المانجلك ابن عبد الله جماع السلطان الثانى
وهو أشهر سلاطين العبدلاب قاطبة . ولا يخلو المكان من
بعض قرى العبدلاب المتفرقة - مثل دبك - ود البصل .

(١) القدين - كانت فى الماضى ارض سودانية ثم صارت اليوم تتبع لارتيريا (٦)

خراب سوبا الاول

ندع مولانا الشيخ الفحل الفكى الطاهر يحدثنا عن خراب
سوبا (١)

قال : كان الامير مسمار قد ارتحل من باره ونزل
العرشكول بقصد جمع كلمة عموم العرب وحرب ملك سوبا
فسعى وما تم له ما أراد فخلفه ابنه الامير صبح فجذ واجتهد
واجتمع بمشائخ العرب من قحطان وتوفى فخلفه ابنه الامير
حميدان وفى صيف سنة ثمانمائة واحدى وثمانين تم الاتفاق
بين أمراء قبائل قحطان الامير حيدر بن أحمد بن حمد بن
الامير رافع بن الامير عامر ، عبد الله القرين ولد فرح
أحمد ولد حمد ولد الامير رافع ولد عامر وبين الامير
حميدان ولد الامير صبح ولد الامير مسمار ولد الامير سرار
على أن يغزوا عاصمة الفونج والنوبة فى مملكة علوة «سوبا»
وفعلا نهض الامير حميدان بجيشه من جبل العرشكول وعبر
النيل الابيض « بمخادة » أبوزيد وفى سهل الجزيرة التقى
بقبائل قحطان بقيادة الامير حيدر بن الامير أحمد ومن
هناك أخذ الادلاء يقطعون الجيوش « بالمخادات » ووصلوا
بلاد علوة واشتبكوا مع العنج والنوبة فى حرب ضروس
ومنازلات دامت أياما متعددة وهى الله للعرب أن حصل بين
الملك والبطريك دبرى بنى اختلاف ومفارقة فانهزما وألح
العرب على الملك عفايق فهزموا جيشه وقتلوه ولم يتعرضوا
للكنائس بأذى بل تركوها موفورة الكرامة وكانت الكنائس

(١) تاريخ واصل العرب بالسودان - الشيخ الفحل الفكى الطاهر ١٩٧٦ - دار الطابع

أربعة • كنيسة النيل على الشاطئ وأثارها موجودة وأخرى
عند قصر الملك وثالثة هي التي وجد الشيخ عبد السلام ولد
كبيدي فيها في المدخل تحت الأرض باب أو غشاء باب من
ذهب ورابعة وهي كنيسة المربعات أما البطريك فانه هرب
ولم يتبعه العرب وبعد قتل الملك قسموا بين الناس الفنائم
واتفقوا على أن يكون النيل الأزرق من كركوج الى آخره ملكا
لقبائل قحطان وسمى البحر الجهني ومن كركوج ملكا
للجعليين وسمى بحر الجعليين ودام هذا الى مجيء الاتراك
سنة ١٢٣٦ هجرية وبعدما انتهت الحرب رجع الامير
حميدان الى مقر ملكه جبل العرشكول وهناك عين ابن أخيه
ابن عمه الامير حاكم بن سلمة بن سعد الفريد بن الامير
مسمار واتبعه جيوش جرارة وأمره بحرب النوبة العليا
فاحتل أولا مملكة النوبة السفلى ومحلها البجراوية واحتل
النوبة العليا وعاصمتها مروى وبعد وفاة الامير حيدر عاد
البطريك ديرى بنى الى علوة وعمرها وكان قد جمع جيشا
كبيرا من النوبة والاحباش - وكان يقوم بمصاريف الجيش
من ذخائر الكنائس وبعد وفاة الامير حيدر أصبح الامير
عبد الله القرين صاحب الامر •

اختلاف الامير القرين وأمرء جعل

فلما اختلفوا جمع القرين أعيان عشيرته وقال لهم نحن أحق بالبلد من الجعليين ، والجعليون ملكوا الجزائر والبلد لحد دنقلا أرى أن نحاربهم ونطردهم من البلد فما وافقوا على هذا الرأي وقالوا اذا حاربت الجعليين - يهلكوا العرب ويقوموا النوبة يملكوا البلد وما يراعوا العرب لانهم موتورن والصداقة بيننا وبينهم ذهبت من يوم قتل الملك ورجاله فى سوبا فهناك أخذ الامير عبد الله القرين طائفة من رجاله وأهله وذهب الى جبال البرون حيث اجتمع بالملك عمارة دونقس ولد الملك عدلان وضمن له الملك عموم البلد وتعهدا على أن يكون للملك عمارة وأهله الملك وللأمير عبد الله القرين وأهله قيادة الخيل وجباية الاموال وفى سنة ٩١٠ هجرية نزل الملك عمارة دونقس - من الجبال ومعه عشيرته الكثيرة العدد واختط سنار بواسطة الامير . وفى هذه المدة قوى أمر علوة وقتل الشويحات فى باره واحتل البحر الابيض وكردفان وملك التاكا - أى كسلا - وملك البحر الازرق .

خراب سوبا المؤبد

وفى هذه المدة قوى أمر علوة واتخذوا ملكا والبطريك ديرى بنى هو الكل فى الكل والمدبر لامر الملك والكنائس واتخذ البطريك جيشا قويا من النوبة والاحباش والبجا وكانت عنده ذخائر الكنائس ينفق منها وفى سنة ٩١٠ هجرية جرد الملك عمارة دونقس جيشا كثير العدد والعدد وجمع الامير عبد الله كل قبائل العرب وقصدوا مملكة علوة فقام البطريك يحرض أصحابه ويغريهم ان أصبح ، ووعدهم بالنصر وكانت الحرب باسم الدين فلولا حسن قيادة الامير عبد الله القرين ومعرفته الحربية وشجاعته الزائدة لثم نصر النوبة وأهلكوا العرب والله قدر نصر العرب بأسباب منها حصر النوبة وقطع المؤونة عنهم والثانى أن الخيل كرت .

وقتل البطريك ففت ذلك فى عضد النوبة فانهزموا وتبعهم العرب قتلا وأسرا بذلك تم خراب سوبا المؤبد فحرق العرب البلد والكنائس وقتلوا وسلبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال وذلك خراب سوبا المؤبد لم يشهد التاريخ خرابا مثله لانها بعد أيام قلائل وأصبحت البلد بعد العمار خلو من كل ساكن وحيطان تصبح فيها اليوم وهابها العرب وقالوا انها مساكن الجن حتى جاء الشيخ حسوبة ولد حسن من بربر فسكنها وولد من بعده ولد عبد الله ولد محمد ولد زروق .

وهذا المقال وان اختلفت أزمان الحياة ببعض ليتم للقارىء معرفة خراب سوبا هذا ما سمعته من القعيدان الحاج حامد

كبيدي من سوبا الشرق والشيخ على ود عيد من سوبا الغرب . انتهى حديث الشيخ الفحل .

اسم الفونج

يزعمون أن اسم الفونج أطلقه عليهم الشلك في زمان سابق وتقول الرواية أن الشلك انحدروا من البحيرات الجنوبية صوب الشمال الى أن انتهوا عند عشيرة تسكن المنطقة الواقعة عند « الرنك » فتزوج كبير السلك من تلك العشيرة وأنجب ولدين ولما شبا عن الطوق دب خلاف بينهما وبين خؤولتهم أدى الى حرب كان النصر حليف الشلك الذين أخرجوا تلك المجموعة من ديارهم الى الشمال والشرق وصاروا ينعثونهم بالفنج أو البنج وهو الغريب بلغة السلك وصار الاسم علما لقبيلة فيما بعد . والشلك أحيانا يتجاوزون في استخدام هذه الكلمة ويطلقونها حتى على جيرانهم من القبائل النيلية مثل الدينكا والنوير .

ومن الروايات التي سمعتها أن عمارة دونقس تزوج بامرأة كانت تسمى « فونجة » واليها ينتسب الفونج .

وعمارة دونقس وأسرته يزعمون انهم من « الامويين » أحد بيوتات قريش المشهورة وان جدهم « فر » من جزيرة العرب عند سقوط الدولة الاموية واستقر به المقام في هذا الاقليم وتزوج بالسيدة فنجة جدة عمارة دونقس والفونج فيما بعد .

العبدلاب (١)

أما العبدلاب — فإن النسبة واضحة لجدهم وكبيرهم

(١) نسب العلارين — للشيخ محمد علي الطيب

عبد الله جماع بن السيد الباقر بن السيد رافع وهو من عرب القواسمة الذين ينتمون لجبهينة « الاشراف » حسب رواياتهم ، وكان كلا الزعيمين صاحب عاطفة دينية صادقة هي التي كفلت لهما الوحدة والاتحاد وظلت هذه الجذوة الدينية متقدة في نفسيهما وسار الولاة والسلاطين على هديهم كل حسب جهده وطاقته الى أن دالت دولتهم . ودعما لهذا القول أنقل هنا فقرتين من المراسيم التي كان يصدرها ملوك ذلك الزمان وواضح فيها أنهم كانوا يحكمون وفق شرائع الدين الاسلامي الذي لم تكتمل صورته في أذهان الناس وقتذاك بالشكل والقدر الذي يعرفه فقهاء اليوم .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بلغ الرسول ونحن آمننا بما يقول .

حجة سلطانية ووثيقة ملوكية بمدينة سنار المحروسة المحمية اجلها الله تعالى لدى متوليها سلطان المسلمين وخليفة رب العالمين القائم بأمور الدنيا والدين المستنصب لمصالح المسلمين ، وناصر شريعة سيد المرسلين ، وناشر لواء العدل والعقل على كافة العالمين من أصلح الله به العباد وأتار به البلاد . وقابع به أهل الكفر والمكر والعناد . وأهل الظلم والفساد ورحمه الله سبحانه وتعالى للحاضر والباد . الواثق بالملك العدل . السلطان بن السلطان . السلطان المظفر المعان السلطان بادى ابن المرحوم السلطان طمبل - الخ .

أما المرسوم الثاني فمن أحد سلاطين العبدلاب هو عبد الله ابن الشيخ عجيب هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وثيقة مضمونها وحاصلها فيها شهادة ألا اله الا الله وأن
محمدا رسول الله فان فريد عصره ووحيده دهره في الافاق
وشمس الدائرة على الاطلاق الشيخ عبد الله بن الشيخ
عجيب سلطان ملكية شندى المحمية المحروسة بالقوة القهرية
والقدرة الازلية بجاء خير البرية تقبل الله ثراه وجعل
الجنة منزله وناديه آمين .

أما بعد فاني قد تصدقت ووهبت لله ورسوله هذه البقعة
لصاحب بن صالح البطحاني الخ . بتاريخ سنة ١١٥٤
هجرية .

السلطان سليم

في أواخر سنة ١٥١٧ زار السلطان العثماني سليم
مدينة سواكن وكانت عندئذ في حوزة المالك ، وهم
السلطان بعد أن سمع بقيام الدولة السنارية أن يغزوها
وفعلا أرسل الرسل للشيخ عمارة دونقس أن يدفع الخراج
أو الجزية والا فالحرب والمناجزة .

فرد الشيخ عمارة دونقس على السلطان التركي ردا لبقا
وكان أهم شيء فيه ارتكازه على العقيدة الاسلامية . ومن
قوله في ذلك الخطاب المشهور ، لا أعلم ما الذي يحملك على
حربي وامتلاك بلادى فان كان لاجل تأييد الاسلام فان
أهل مملكتى عرب مسلمون يتدينون بدين الاسلام وان كان
الغرض كسب المال فأعلم ان أهل مملكتى عرب بأديّة
هاجروا الى هذه البلاد فى طلب الرزق ولا شيء عندهم
تجمع منه الجزية أو الخراج ثم جمع العلماء والنسابة



(فاتح مصر والسودان سلطان سلیم داد کر . قهر مان شیر دل دارای اسکندریه)
 (هب جهانگیران دوران مہر یا شایاندو . ایتسہ تصویر ہایونیلہ تنویر بصر)

وولى عليهم العالم المشهور « السمرقندى » فبؤوا أنساب
عموم العرب بالبلاد (١) .

ودفع بوثيقة النسب مع خطابه المشار اليه آنفا للسلطان
سليم فتدبر السلطان سليم الامر وعدل عن حرب مملكة
سنار .

وهكذا ظل سلاطين الفونج يلوذون ويحتمون بالدين كل
ماحزب بهم أمر .

وهذه العاطفة الدينية هى التى جعلتهم يهتمون بأمر
الدين والعلماء والصالحين حتى نال المشائخ وأرباب
التصوف مالم ينله غيرهم . فى هذه البيئة التى تحتفى
بالعلماء والصالحين ولد شيخنا العلامة فرح ود تكتوك
والحديث عن الشيخ فرح مع شح المصادر العلمية وبعد
المسافة الزمنية بيننا وبينه ليس بالسهل الميسور لاننا أزاء
شخصية فذة قليلة المثال والنظير وقبل الحديث عن سيرته
وأثره أرى تقديم نبذة عن عشيرته .

والدته

ونبدأ بأمه لان نسبه من جهة أبيه واضح لجميع الناس
وحسبنا حديث الشيخ عن عشيرته البطاحين كما سيأتى
أما أمه فجميع الرواة متفقون على اسمها « النتيلة » بنت
حوطى أب قرون وينسبون حوطى هذا لاسرة الشريف حمد
أب دنانة ؟!

وقد وجدت رواية مغايرة لهذه تماما فى مخطوط الشريف

(١) راجع - جغرافية وتاريخ السودان - لنوم شقير

يوسف الهندى •

ان أم الشيخ من قبيلة « تكيم » النوباوية وتسكن القبيلة
جبل البرين أو اليرين جنوب تقلى •

ونسب المخطوط للشيخ فرح هذا القول عن أمه :

أنا فرح

وأُمى من تَكَمَ تَكِيم

الكافر العَجَمى

يا الهى أنقذ تَكِيم

من نار الجحيم

وأسكنهم جنات النعيم

وقد سبه الزبالعة وعيروه بسواد أمه • وقد ذكر الشيخ
الطيب ود سالم رواية البطاحين بالمناقل وذكر أيضا بعض
البطاحين أن الشيخ فرح كان أسود اللون والسواد مع
النباهة والنجابة مما يمدح به الرجل فى البيئة السودانية
ويظن بعض أهل السودان أن كثيرا من الابطال النابهين
الذكر كانوا على قدر (من السواد) مثلا بعانخى - عنتره -
أبوزيد الهالى - طارق بن زياد - عمارة دونقس - خوجلى
أبو الجاز - أزرق توتى الخ ••• ثم فرح ود تكتوك ولعل
فى تكريم السواد هذا اعتراف ومزج وربط بين العيصرين
العربى والافريقى الذى تم عبر قرون عديدة • والعرب فى
جزيرتهم وفى سالف أيامهم وحاضرها عرفوا سواد البشرية
وسمرتها وخضرتها كما نعب - هذا وقد عثرت فى مخطوط
الشريف الذى ترجم للشيخ بدوى ود أب صفية الصالح
المشهور « بالابيض » ١١٨٠ - ١٢٥٦ هـ وكان الشيخ بدوى

من دعاة التبشير الاسلامى وحكوا أنه فى احدى غزواته
لجبال النوبة ضل الطريق فقال لاصحابه أتركوا هذا الجبل
اكراما للشيخ فرح لان أمه من هنا .

البطاحين

عشيرة ذات شوكة وذات قوة ومضاء والبطاحين من القبائل
النادرة التى جمعت بين ظاهرتين اجتماعيتين على طرفي
نقيض هما الظاهرة الدينية المتمثلة فى كثرة الاولياء
والصالحين وأذكر منهم على سبيل المثال المشايخ الشيخ نعيم
الاجواد - الشيخ طه الابيض - الشيخ فرح ود تكتوك -
الشيخ عبد الباقي جبل الحديد - الشيخ الحاج يوسف
(دهاشة) الشيخ طلحة وغيرهم . والظاهرة الثانية ذات
صبغة بدوية تتمثل فى حبهم وممارستهم لحياة الصعلكة
(الهمبته) وهم على رأس القبائل التى مارست الصعلكة
دهرا طويلا .

ولعل فى الجمع بين الظاهرتين دعوة هامة للمهتمين
بالدراسات الاجتماعية والانثربولوجية لاكتشاف مكنون هذه
القبيلة ذات البساطة والكرم (١) .

والبطاحين ينتمون الى المجموعة الجعلية فنسبهم يرتبط
مع الجعليين عند سمرة وسمير أبناء كردم بن أبى الديس
فجدهم سمرة وجد الجعليين سمير .

ويبدو أنهم انشطروا عنهم فى وقت مبكر واتجهوا شرقا
الى أن استقروا فى أماكنهم الحالية وقد أورد ود ضيف الله

(١) راجع مقدمة كتاب [من أدب البطاحين الشعبي] معهد الدراسات الافريقية
والاسيوية

فى ترجمته للشيخ بدوى ود أبو دليق قال رأى الشيخ بدوى
رؤية منامية أمر فيها أن يسكن الارض الحمراء مع الناس
الحر فالارض الحمراء « قلعة النجفة » والناس الحر هم
البطاحين (٢) .

ومعنى هذا أن البطاحين كانوا يقيمون فى هذا المكان منذ
عهد بعيد جدا وقبل هذا أسسوا رئاستهم المركزية فى جبال
القنن والفرش (فرش القنن) وكان على قمة هذه الرئاسة
« العبادلة » رهط الشيخ فرح الذين انقض عليهم الشكرية
والمرغوماب فى مطلع القرن الحادى عشر وقضوا عليهم
قضاء يكاد يكون مبرما وصار يضرب بمن بقى منهم المثل
فيقولون لمن يترك شيئا قليلا من زاد ونحوه يقولون له هذه
(فضلة عبادلة) ومن بقى منهم حيا اتجه نحو سنار والجزيرة
ومنهم القدوراب فرع الشيخ فرح . واستقروا جنوب شرق
مدينة سنار القديمة فى المكان المعروف وقتذاك « بمشرع
الحجيرات » وتسمى الان عمارة البطاحين وأغلب الروايات
أن الشيخ فرح ولد هنالك فى منتصف القرن امحادى عشر
الهجرى وفى رواية النسابة البطحاني الشيخ الطيب ود سالم
المقيم بالمناقل أن الشيخ فرح جاء لسنار صغيرا مع أسرته
من منطقة البطاحين .

ثم درس القرآن والفقه وعلم العربية على عدة مشائخ أهمهم
أرباب العقائد والخطيبان عمار وعبد اللطيف (ابنه) (١)
ثم شرع ينتقل كعادة أهل زمانه بين الشرق (والهوى)
طلبا للعلم والمعرفة .

(١) النجفة - مكان يقع غربى أبو دليق

أساتذة الشيخ

عندما راجعت قائمة المشائخ الذين درس عندهم الشيخ فرح تبينت أنهم من أشهر المشائخ في تلك الحقبة علما وسلوكا .

وأنقل فيما يلي بعض فقرات من ترجمة ود ضيف الله لاولئك المشائخ وما رواه لي بعض المواطنين الذين يهتمون بسيرته . قال ود ضيف الله عن مشائخ الشيخ فرح .

أرباب العقائد

أرباب بن علي بن عون بن عامر بن صبح . ويسمى الخشن لخشونة جسمه من الوضوء والغسل . ويسمى أرباب العقائد أخذ علم الفقه من الشيخ صغيرون وتعلم علم العقائد من الشيخ علي ولد برى خدمه ودعا له على قريجة فنفعه الله تعالى بعلمه وشدت اليه الرحال في علم التوحيد والتصوف وبلغ عدد طلبته ألف طالب ونيف من دار الفوننج الى دار برنو . تلامذته وتلامذة تلامذته . وألف كتابا في أركان الايمان وسماه « الجواهر » انتفعت به الناس شرقا وغربا . وتلامذته هم شيوخ الاسلام منهم الحاج خوجلي والفقيه حمد ود أم مريوم والفقيه حمد بن حتيكه والفقيه محمد بن ضيف الله والفقيه هارون بن حص والشيخ فرح ولد تكتوك والقرشى الصليحابي وخلايق لاتحصى وجلس للتدريس بعد شيخه وتوفى سنة اثنين بعد المائة والالف بيندر سنار .

الخطيب عمار

أما شيخه الثاني فهو عمار بن عبد الحفيظ وأمه بنت اللبدى ولد بسنار وسافر الى مصر والحجاز لطلب العلم

والحج وقرأ سائر الفنون الفقهية والعقلية والنقلية وعلم
النحو واللغة والاصول والمنطق والتصوف .

وسائر الفنون ، وأمره شيخه يحيى الشاوى المغربى بتحقيق
علم العربية والفقه وسائر الفنون ، فلما عاد من مصر أحضر
معه نحو رحلين أو ثلاثة من الكتب .

وقد وجدت بخطه وكان سفرنا من سنار لطلب العلم
بالازهر والحج يوم الجمعة بعد العصر خامس عشر فى
رمضان سنة سبع وسبعين بعد الالف من الهجرة النبوية على
صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

قصة ود أبو خنيجر

بلغ من ورع عمار أن محمد ولد أبو خنجر من الحلفاية
أهدى له رحل قمح فقبله منه ثم بالعام الثانى جاءه فقال له
عندى دار عليها خراج السلطنة ، بدورك تطلب الشيخ
عجيب يعفاه لى . فكلم الشيخ فعفاه عنه .

ثم قال له شيل رحلك ماعرفت وجها آكله به . فوجده
العنكبوت بنت فوقه .

وبلغ من ورعه أنه تزوج فاطمة بنت سالم وكانت صاحبة
دنيا عريضة عيلتها تجار يتاجرون مع الهند والريف ومكث
معهما سبعة وعشرين سنة ما أكل لها طعاما ولا استصبح
بمصباح . وقال أصل مالها فيه حق الوراثة . وأنا أخذت
ذاتها فقط .

وعمار هذا أخذ العلم من الشيخ محمد بن سرحان العودى
وأمه فاطمة بنت جابر بن عون الله بن سليم بن رباط بن
غلام الله ولد بالجزيرة « ترنج » بمنطقة الشايقية - جمع

بين العلم والعمل والفقه والتصوف •

وشيوخ عمار هو محمد بن سرحان المشهور بـ « صغفرون »
وصغفرون تلميذ الشيخ اسماعيل بن جابر •

الخطيب عبد اللطيف

ومن الروايات الشفهية أن الشيخ درس أيضا عند الخطيب
عبد اللطيف بن عمار وقد ترجم له ود ضيف الله قال :
عبد اللطيف بن الخطيب عمار ولد بستار وولى الخلافة
مكان أبيه • هو شيخ الاسلام الفقيه النحوى - اللغوى -
الاصولى - المتكلم - المنطقى - المجود للقراءة - المجتهد فى
مذهب الشافعى ، حج الى بيت الله الحرام لنكبة حصلت عليه
من السلطنة وجاور بسببها واجتمع بعلماء المغرب والحجاز
والتكرور ودرس فى جميع الفنون • فلا يوجد فن بين الناس
الا ويقال أنه فرد زمانه فيه • ومدحه بعض علماء الحرم
ومدحه شيخه فى علم المنطق نور الدين اليمنى بقصيدة
قال فيها :

ابن عمار همام ماهر
حبذا من ملجأ للخائفين
داره أصبحت بالعلم روضة
فادخلوها بسلام آمين

وقال أيضا فى قصيدة له أخرى :

عالم بأنواع العلوم بأسرها
حوى فى الورى المعقول مع وارد النقل
أما مشائخه فى القراءة فهم جماعة أشهرهم الشيخ محمد

ود الطريفي العركي .

نسب الشيخ

فرح تكتوك بن محمد بن عيسى - بن قدور بن عبدل -
ابن عبد الله بن محمد الابطح (وهو الذي تنسب له البطاحين)
ابن سميرة بن سرار بن كردم بن أبي الديس بن عبد الله
المشهور (بحرقان) بن مسروق بن أحمد اليماني بن
(أبراهيم جعل) بن ادريس بن قيس بن يمن (الخزرجي من
أمه بن عدلان بن قصاص بن كرب بن هاطل بن باطل بن ذو
الكلاع الحميري (من أمه) ابن سعد الانصاري بن السيد
الفضل ابن السيد عبد الله بن راسخ ابن عباس بن عبد
المطلب .

ويؤكد كل هذا الشيخ الفحل الفكي الطاهر الكاتب المؤرخ
(رحمه الله) وهو من القلائل الذين كتبوا عن تاريخ
العرب وأنسابهم في السودان وله مخطوط طبع سنة ١٩٧٦
وقد اعتنى الشيخ الفحل بصفة خاصة بتاريخ البطاحين
الذين تربطه بهم أواصر قوية .

تكتوك

أما كلمة تكتوك فأغلب الظن أنها
لقب أطلق على والد الشيخ ثم لحق بالابن فرح . والشيخ
فرح يذكر ذلك في شعره وأقواله الاخرى (أنا فرح ود
تكتوك) وجاء في الشعر قوله :
أنعم لتكتوك أبيه وأمه
واخوانه والاهل من سائر النفر

ورواية أخرى تقول : ان أحد المشائخ دعا على فرح حينما كان طالبا عنده وذلك اثر انجازه عمل خاص فسقط مغشيا عليه وصار صدره يتكتك فلقب بتكتوك - وقول ثالث أن الجالس معه يسمع « تكيك » صدره لانه ظل يقرأ القرآن دوما .

ميلاده ووفاته :

ولما لم أجد قولاً قاطعاً يحدد تاريخ ميلاد الشيخ فاني أسوق هذه الشواهد لعلها تقرب لنا تاريخ ميلاده : ذكر ود ضيف الله في ترجمته للشيخ أرباب العقائد (أرباب بن علي الخشن) من تلاميذه الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن (أبو الجاز) وحمد ود أم مريوم وفرح ود تكتوك ومن المعروف أن شيخهم أرباب العقائد توفي سنة ١١٠٠ هـ معنى هذا أن الشيخ ربما كان مولوداً في منتصف القرن الحادي عشر وهذا تغضيد لما ذكره لي أحفاده أن الشيخ بلغ مائة سنة وبضع سنوات أما تاريخ زميله في الدراسة فحمد ود أم مريوم ميلاده ١٠٥٥ ووفاته ١١٤٢ هجرية كذلك توفي الشيخ خوجلي سنة ١١٥٥ .

وجدت عند السيد فرح القاسم (بكساب الجعليين) وهو من أحفاد الشيخ فرح مخطوطاً كتبه محمد بن محمد تلميذ الشيخ ، ومحمد هذا مدفون مع الشيخ في مكان واحد وجدت في مخطوطه ما نصه :

ان الشيخ فرح توفي بسبب الحمى التي قامت عليه خمسة أيام توفي بالاحد أول الظهر في اليوم العشرين من شهر الله ربيع الثاني سنة سبع وأربعين بعد المائة والالف ،

١١٤٧ هـ وذلك بعدما صلى الظهر وتشهد وقرأ سورة
الاخلاص ثلاث مرات وتم دفنه فى ظهر الاثنين بمشرع
الحجيرات وهو مكانه العالى .

وله من العمر مائة وبضع سنوات .
ويفترض أن ظهور الشيخ فرح على عهد ولاية السلطان
بادى أبو دقن من ملوك الفونج العظام .

اشتهر بادي أبودقن بالشجاعة والكرم وكان عفيفا ومن أندر
الملوك الذين عرفوا بهذه الصفة .

وكان عابدا حبه موفور لاهل العلم يرسل لهم الهدايا خارج
سلطنته لعلماء مصر مع رسوله (أحمد ود علوان) وكان
الملك بادي أبو دقن مشهور عند علماء مصر فى زمانه معظما
عندهم حتى ان العالم الازهرى الشريف عمر المغربى قد
مدحه بقصيدة طويلة ذكر فيها عظمة سنار ومنها :

به أصبحت سنار فى الانس والصفاء
وتاهت على البلدان حتى على مصر

ومن الاخبار المحكية عن سلوك هذا السلطان العظيم أنه غزا
جبال (تقلى) ووجد فيها ملكا ليس أقل منه عظمة ولا نبلا
وكان ملك تقلى يعرف السلطان بادي من خلال الاخبار التى
تحكى عنه .

ولكن الوشاة ومروجو الفتن دفعوا بالرجلين دفعا لغرض
الحرب .

فلما وصلت جيوش بادي لتقلى رجعت دون أن تخربها أو

تنال منها شيئا لان ملك تقلى عاملهم معاملة الكرام تقديرا
لسمعة سلطانهم (بادی) فأرسل لهم الطعام عند وصولهم
كرما وفضلا . فرجعوا دون حرب

ما أنبل فرساننا فاطعام الضيف فوق كل واجب حتى لو
كان الضيف من الاعداء يخوضون المعارك فى وضح النهار
يتقاتلون - وفى الليل يرسل الطعام الى عدو . .

هذا الاطار يوضح لنا موقف الشيخ فرح بعد فترة عندما
استنجد به رجل مطرود متبوع فنصحه الشيخ بأن يختبئ
تحت كومة من التبن وعندما وصل الذين كانوا فى أثره سألوا
الشيخ ان كان قد رآه فأشار شيخنا فرح الى كومة التبن فسخروا
منه واستمروا فى المطاردة .

وخرج الرجل من تحت التبن يرتعش من هول التجربة التى
أدخله فيها الشيخ . وكان قوله المعروف :

« أكان الصبح مانجك الكضب ما بنجيك »

هذا وقد اهتم الملك بادی بالمعمار فبنى الاسوار حول
مدينة سنار وكانت له تسعة أبواب ثمانية منها لدخول كبار
رجال الدولة من الامراء والقادة والتاسع كان يدخل منه
عبد الله ود عجيب العبدلابى شيخ مشيخة قرى (١) .

ومن عدل هذا الملك انه جعل امام كل باب دكة اسمها (مين
ناداك) أو (منو ناداك) كان المظلومون من الناس يذهبون
ويجلسون عليها دون اذن من أحد فيعرفون ويرسل الملك من
ينوب عنه فى طلبهم للنظر فى مظالمهم ورد الحقوق اليهم .

(١) ترتيب هذا الدخول لعله يهم من يؤرخ للدبلوماسية فى السودان

ويعكس هذا الاسلوب فى الحكم الاقتداء بالخليفة عمر
عدالة وسندا للضعفاء واحتقارا وعظمة للمستغلين والانتهازيين
الذين يحومون حول السلطان كصرخة شيخنا فرح فى قصيدته
التي يقول فيها :

يا واقفا عند أبواب السلاطين
أرفق بنفسك من ذل وتهوين
وكم جرى طامع فى اليد مغترفا
ولم يجد قصده فى الشام والصين

ان شيخنا الذى عاصر سنار أصبح رجلا لكل العصور
فمضمون هذه القصيدة المباشر مازال قضية انسانية !؟ لذلك
لايدهشنا هذا الشيخ الجليل فى عفويته المذهلة بل انه يفرض
علينا التأمل والاستغراق بحثا عن مصادر عظمة أولئك الاجداد
يا شيخنا فرح أى خاطر مر بك وأنت فى مسيرتك اليومية
فجرا حولك حيرانك تحملون .. وأنت على رأسهم .. فى يد
اللوح والاخرى بصماتها مفروسة فى عود (السلوكه) .
هل ألهمتكَ سنار ذلك الصباح بأن تتنبأ بعصر البخار
والتلفون ..

بعد الحال يبقى
السفر بالبيوت

والكلام بالخيوط (١)

وان أحفادكم سيواجهون بصدوركهم وشجاعتكم تحديات
ذلك العصر عندما وقفتم فى مقدمتهم عند جبال كررى وسقط

(١) اختراع التليفون - جراهام بل سنة ١٨٧٥ واختراع الفاطرة الاولى المستر ريتشارد

تريفينك سنة ١٨٠٣

منكم عشرة الاف شهيد لتظل راية واحدة خفاقة الراية
الزرقاء .

السلطان أونسه : ١١١٧ - ١١٢١ هجرية

الاطار يتكشف حول صورة الشيخ . الحكماء يتبدلون .
الظروف الاقتصادية تتغير وفي ايجاز شديد نستعرض
المزيد من السلاطين والاحوال التي مرت بها سنار لتبيين
أكثر عظمة أقوال الشيخ وحكمه .

ثم تولى الحكم من بعد السلطان بادی ابن أخيه السلطان
أونسه الثاني وفي زمنه اشتد القحط وحصلت مجاعة
عظيمة أكل الناس الكلاب وانتشر في مدة حكمه وباء
الجدري حتى كاد يقضى على الناس وهو صاحب قصة العيش
مع الشيخ فرح كما سيأتى :

بادی الاحمر ١١٢١ - ١١٦٦

ثم جاء الملك بادی الاحمر وفي أيامه وقعت بعض القلاقل
والتمرد ولكنه تغلب عليها ويظهر أن الناس قد تأثروا
بسنين المحل التي مرت عليهم وجوع الرعية هو أقرب السبل
الى ثورتها وعصيانها (١)

وفي أيام بادی الاحمر هذا عاش الشيخ حمد النحلان
المشهور بود الترابي . ومات أيضا في مدة حكمه .
وتوفي أيام حكمه الشيخ عبد الماجد ود حمد الاغبش
وأيضا الشيخ سلمان ود العوضية .

(١) راجع ملوك السلطنة الزرقاء - محمد رحمة الله أحمد

الفصل الثاني

١ - الوضع الاجتماعي والثقافي

٢ - المرأة

٣ - زواج ابنته

٤ - سلوك الشيخ

٥ - أصحابه

٦ - العلم

٧ - مناظره

٨ - الزبالة

٩ - ود بقادي

١٠ - الزبالة في توتي

الوضع الاجتماعي والثقافي

يا أبانا فرح ود تكتوك مازلنا نتسقط أخبارك بين ضباب الماضي . وقد ذكرنا يا شيخنا في فقرة سابقة أن سلاطين الفونج كانوا يهتمون بأمر الدين فكانوا يكرمون العلماء والصالحين ويبالغون في الاحتفاء بهم وكانوا لا يردون لهم طلبا أو شفاعا بل يذعنون لهم كل الأذعان . ومعظم السلاطين كانوا لا يخرجون للحرب والمنازعات الا بعد رأى المشائخ .

ود ضيف الله يحدثنا . . أن الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن المشهور بأبو الجاز كيف كانت تقبل شفاعته من غير أن يحضر شخصيا . قال ود ضيف الله ومن أخلاقه أنه لا يكتب السلطنة ولا يرسل اليهم مع كونه كثير الشفاعا والجاه وإذا طلب أحد منه القيام الى السلطان ليشفع له عنده يقول له لا أرسل معك تلامذتي ولا أولادي أستودعك الله وخذ

هذه (الطينة) وان صبرت الى أن يأتى الى هذا الظالم أو أحد من أعوانه أوصيه اليه ليشفع لك عنده بأمرى . ولا يقوم الى ظالم فى شفاعته . قال الفقيه عبد ادافع قال الشيخ خوجلى ما وقع عندى أشجع من أربعة . أولهم أصول ود جماعة ومحمد ولد كنتوش وعلى ود دفع الله ومحمد ود أبو القاسم شيخ الكاملاب . أما أصول ود جماعة . . اتهموه بزوجة الملك وجاءنى فى الشفاعه فقلت له خذ هذه (الطينة) واستودعك لله فسر ولا تخشى منه قال (على الطلاق) ما أطلب شفاعه غير وداعة الله وطينتك ، فأخذ الطينة وسافر الى الملك فلما رآه قال له عفوت عنك فيما اتهموك به ؟

أما محمد ود كنتوش قيل له الملك يريد أن يقتلك فدخل فى مركب وانحدر (١) فى البحر الى أن وصل الى فقلت له مثل الاول فقبل وداعة الله وأخذ الطينة ومضى اليه فخلى سبيله بمجرد رؤيته ، وقصة الرجلين الآخرين لا تخرج عن هذا المعنى .

كان هذا حال الحكام ثم نهج نهجهم عامة الناس وساروا على منوالهم والناس على دين ملوكهم كما يقولون . يصدقون ويؤمنون بكل مايقوله المشائخ .

فانتشرت المذاهب الصوفية كالشاذلية والقادرية ثم الباطنية والزبالة وغيرهم . والناس عندئذ لا سبيل لهم ليصلوا الى منابع الاسلام الصافية الخالية من الشوائب والزوائد بسبب الجهل المستشرى وقلة علماء السنة الذين

(١) انحدر - الانحدار السباحة تبع التيار أو الذهاب منه بالمركب

كاد يضيع صوتهم وسط جلبة المشائخ وضجيجهم ..
 فركن الناس وصاروا يصدقون أمر الكرامات والمكاشفات
 وكانت أهم أحداث المجتمع اليومية هي الكرامات وغارات
 الاولياء بعضهم على بعض وأصبحت الكرامة أمرا لا ينكره
 أحد الا عدوه مجنونا خارجا على اجماع الناس . هذا من
 ناحية ، ومن ناحية أخرى فان عامة الناس ظلوا على حالتهم
 البدوية ومازال ولاؤهم للقبيلة أكثر من الدولة وكانت
 تسمى تلك الايام أيام (القيمان) جمع قوم ولكل قبيلة
 وعشيرة عصابة تسمى (القوم) تضم قسمين قسم لحماية
 العشيرة والاخر للنهب وقطع الطريق . وشهد الشيخ فرح
 على سلوك قبيلته البطاحين الذين كانوا أصحاب يد طولى
 فى مجال النهب والسلب حيث قال عنهم :

أنا فرح ود تكتوك
 أهلى عبادلة وملوك
 بطعانى ما فى شكوك
 وكَتَ الشم تبقى هِنُوك (١)
 أهلى يتا بكوا فى أم سَمْبُوك (٢)
 إن جيتن يجوك
 وان ما جيتن يجوك
 مِنْهُنْ
 وبَارَى مِنْهُنْ

(١) الشم - ترخيم كلمة شمس
 (٢) أم سمبوك - الرقبة أو النفس

المرأة

أما وضع المرأة وحقوقها فكان على حال غير مرض وقد ذكروا أن الشيخ محمود العركي « راجل القصير » بعد رجوعه من الازهر فى نهاية القرن العاشر الهجرى وجد كثيراً من الاهالى يطلقون المرأة ويزوجونها لآخر بعد يوم أو أيام .

وقد سمعنا أن بعض الصوفية خمسوا وسدسوا كالذى نسبته ود ضيف الله للشيخ « محمد عبد الصادق الهميم » وتزعم احدى الروايات المتكررة أن أحد الملوك « الجبال » واسمه الملك « تيرا » أنجب بنتا حسنا نادرة المثال فهم بزواجها وسأل مجلس شوره فقالوا له أرسل للفقراء يفتونك فى هذه المسألة فأحاله الفقراء للشيخ فرح ، لعله يجد مذنباً أو رأياً يسوغ به هذا الجواز .

فجاء رسول الملك تيرا وحكى للشيخ قصة الملك فقال لهم ساخرا ومتهكما :

قل للملك تيرا

ود الخادم العويرا

زوجنا لك بنتك الكبيرة

بى سنة . . البغال والحميرا

هذا ولما أراد مندوب الملك تيرا الانصراف طلب من الشيخ أن يدعو له بالتوفيق والسداد فى أوبته .
فدعى له الشيخ ساخرا منه ومن مهمته قال الشيخ :

رَفَعَتْ إِيْدِيَّآ
وَالْمَوْلَى يَقْبَلُ لِيَا
بِرَكَّةِ سُكَّانِ دِيَا
الشَّعْبَةُ الْقَوِيَّةُ (١)
وَالْقِدَّةُ النَّيَّةُ (٢)
وَالْخَتَرَةُ الْمَا فِيهَا بَحِيَّةُ

وما يحكى عن الفوضى فى العلاقات الاسرية قصة
« كرنكه » الفونجاوى عندما استعان به الركابية فى حرب
الشكرية اشترط عليهم أن يعقدوا له عقد زواج على حسناء
الشكرية المشهورة « عنيبة الموز » وهى فى عصمة رجل رفيع
القدر اسمه (حسان ود أب على) ولم يعد كرنكه من يمدد
له على السيدة « عنيبة » ولما التقى الجيشان كان أول من لقي
مصرعه (العريس كرنكه) على يد الفارس حسان . وعموما
فان الحال غير مرض وقد تحدث الشيخ عن المرأة حديثا
فى غاية الطرافة ومع انه وصف حال المرأة فى عصره فان
كثيرا من آرائه ينطبق على بعض نساء العصر وهذا ما
سأعرض له فى مكانه المناسب . ثم ان من سلاطين الفونج
من سن سنة مازالت آثارها باقية حتى اليوم وهى اعفاء
المشائخ ومن على شاكلتهم من الضرائب وهى ضرائب باهظة
ومتعددة منها السببية والشعفة والكليقة والشرايا -
الخ (١) -

كل هذا يدفعه عامة الناس أما المشائخ فمهما ملكوا فلا

(١) الشبهة - عصاة لها قرنين يقف عليها الخطيب

(٢) القدة - مايقد من الجلد

(٣) وتنسب العادة أيضا للشيخ محمد عبد الحى - سابع دليوب

رقيب ولا حسيب عليهم وقد بلغ بعض المشائخ حدا من
الثراء جعلهم ينافسون الدولة ذاتها كالشيخ حسن
ود حسونة .

فى هذا الجو المضطرب برز رهط من العلماء الاجلاء الذين
التزموا جانب الحق ولم يميلوا عن الجادة وعلى رأس هذا
النفر القاضى دشين المشهور (بقاضى العدالة) والخطيبان
عمار وابنه عبد اللطيف وعبد الماجد ود حمد الاغيش وحمد
ود أم مريوم وفرح ود تكتوك وغيرهم .

وكان الشيخ فرح يذكرهم بالخير وينعى أيامهم البيضاء
قال عن القاضى دشين :

وِينْ دَشِينْ قاضى العدالة
الما بميل بالضلالة
الأوقد نار الرسالة (١)

وِينْ أولاد جابر
الأربعة الاكابر
جالسين على المنابر
علملوني المانى خابر (٢)

وِينْ دفع الله الاديب
المثل لبن الحليب
أحيا البلد نعم الطيب

(١) وِينْ - عامية بمعنى - أين -

(٢) أولاد جابر من اهلكار علماء السودان

نور المساجد للمغيب
دفع الله هو الشيخ دفع الله المركي الصالح المشهور
المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ
وين ود الطريفي
المتل لبن الخريفي
ماسك طرق الشريفى «١»

وين ود الترابي
وين أب قصة القطابي «٢»
أهل الله القرابي
كلهم سكنوا الترابي
ود حسونه كم بحفر
يكثر الكسرة وينفر
الذنيا الما بتوفر
بالفسل والزين تدفر «٣»

ود حسونة هو الشيخ حسن المشهور بود حسونة المتوفى
سنة ١٠٧٥ هـ

وكما أشرت أيضا للنوضى والاضطراب فان الشيخ فرح
أسهم مساهمة كبيرة فى محاربتها رغم معارضة كثير من المشائخ
لسلوكة كما سيأتى . . ولعلنا نوضح ذلك من خلال وقائع
بذاتها .

كما سيأتى . . ولعلنا نوضح ذلك من خلال وقائع بذاتها

(١) الشيخ محمد ود الطريفي من اعلام المركيين

(٢) أب قصة هو الشيخ موسى اليمقوباب

(٣) ود حسونة الصالح المشهور

زواج ابنته

هذا ولما بلغت بنته « ضوة » مبلغ النساء خرج بها في الطريق ولما تكاثر الناس حوله صاح بهم :

مِنْ دَايِرِ حِمَامِهِ
قَبَّالٌ تَحْصِلُ نَدَامَهُ
النِّسْوَانُ شَرْمُوطَ كَرَامِهِ
زُوجُوهُنَّ يَا وَهَامَهُ

فعل هذا الشيخ فرح ود تكتوك ليقتدى الناس بسلوكه وهي قطعا دعوة مبكرة لتسهيل الزواج وللشيخ بنت واحدة كما هو معروف وبنت الشيخ فرح أخرى أن يتزوجها أعظم الرجال ولكن الشيخ يضرب المثل بسلوكه هذا .

واستمر في صياحه بهذه العبارة وهو يشرحها لمن يسأله عن معناها . وكان يقصد بها تزويج بنته لمن يطلب يدها لان ما لا يحمد عقباه في تأخير زواجها . وأخيرا عندما انتهى من طوافه بكل الناس تبعه شخص وقال له : أريد يد ابنتك . ففرح الشيخ وسرعان ما اتفقا على الزواج وأخذ منه الشيخ مهرا رخيصا مقداره « رحل عيش » وهو مهر يقل عن مثيلاتها من بنات الحى . .

ثم حدث أن غضبت بنته من زوجها وجاءت الى أبيها تشكو منه وتطلب الطلاق فاستمع الى قولها ولاطفها وهدأ من غضبها وقال لها :

أَمْلِيلُو جَفْوُ
وَأَمْسَحِيلُو خَفْوُ
وَإِنْ أَبَاكَ اللَّهُ يَكْفُو

ثم اختلى بزواج ابنته فحادثه ونصحه بطريقته الخاصة

املاً مُصراًنا
وبرّد لها أضنانا
شوقاً أكان تطرّانا

وعندما شكت منه مرة أخرى قام من مكانه وذهب بعيداً يحمل ابريقاً وعاد بعد لحظة وهو يبكي ويتألم مما حدث له . . . فسأله بنته عن سبب ألمه وبكائه فقال فى بساطة وسداجة : أبكى وأتألم لان ابريقى انكسر . فتعجبت بنته وقالت بدهشة عجيب منك يا أبى - أن تحزن لكسر ابريق . من الطين تجد غيره بسهولة . فرد بأسلوب بسيط فيه حكمة ممزوجة بأسف و حزن عميق : لا أتألم من كسر الابريق وانما يحزننى أن أفقد ابريقى « الذى رأى عورتى مدة سبع سنوات حفظ فيها سرى » وأخاف أن أستبدله بآخر يكشف عورتى من جديد فلحظت البنت مايريده أبوها من ضرب هذا المثل ورجعت الى بيت زوجها راضية (١)

ود ضيف الله والشيخ فرح

هذا وكان الشيخ على خلاف مع أغلب المشائخ فنبذوه ورموه بالخروج على الجماعة وبعضهم أساء لسمعته ويبدو أن ذلك قد أثر على ود ضيف الله عندما ترجم له - فهى ترجمة - لم تزد على بضع أسطر بالرغم من سمعة الشيخ الكبيرة وسيرته الحية . قال ود ضيف الله :

فرح ولد تكتوك البطحاني قرأ العقائد على الفقيه أرباب

(١) راجع كتاب الشيخ فرح ود تكتوك - أبو القاسم محمد بدرى - مكتب النشر الخرطوم

ولازم الخطيب عمار وقرأ عليه علم العربية وكان شاعرا
ماهرا وكلامه مطرب وجاذب للقلوب وله كلام فى التفسير
والتوحيد والادب وخساسة الدينار ورخصتها ونعى فيها
جميع العلماء والصالحين وهى قوله وين اولاد جابر .
وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة ومن كلامه عن الموت :

اليابا الموت يبشر بالموت

قيل له الناس اختلفوا هل أشعر أنت أو الشيخ اسماعيل
ابن الدقلاشى قال له المزيه لانه الفارس ابن الفارس وأنا
الفارس ابن الدراقى حج الى بيت الله الحرام وأسلم على
يديه بعض النصارى ودفن « بتريره » انتهى .

هذا ما قاله ود ضيف الله بضع أسطر عن شخصية كالشيخ
فرح الذى طبقت شهرته جميع أرجاء السودان ولا أظن أن
شخصا يعيش على ثرى هذا البلد فى منطقة وسط السودان
ولا يعرف الشيخ فرح ود تكتوك ولا يروى له حكمة أو
يحفظ عنه قولاً ، معرفة الناس بالشيخ فرح هى التى تجعل
مهمتى سهلة وعسيرة فى آن واحد .

سهلة لانى أقدم لهم شخصا لصيقا بوجودان السواد الاعظم
من هذه الامة وعسيرة لان أقواله وحكمه تعرضتا للحذف
والاضافة وقد وردت أقوال عذبة ومفيدة على أسلوبه
المعروف . فالعسر ينتج من هنا . لانى ظللت أضاهى بين
أحاديث كثيرة نسبت اليه وأخرى قالها نسبت لغيره .
ومن الامثال والحكم التى صاغها الناس ونسبوها للشيخ
قولهم :

آخر الزمن يَجُوالانْقِلِيسَا
عيونهم مِثل الكديسة
يقيسموا الارض قيسا قيسا
خفير ن اسموا البوليسا
مايزيل حكمهم الانبى الله عيسى
وقال الناس كلما كثيرا ونسبوه للشيخ فمنه أيضا
قولهم :

آخر الزمان
يجى الخزان
وزراعة الاقطان
وولاية النسوان
وشيب الطفلان
وشيل السبعة بلا ايمان
ويضيع القرآن
وتسبب الاديان
ويكثروا الخوان
ويتقلبوا حكام الزمان
من آن الى آن
ويجى صندوقا ينطق كنطق الانسان
يجيب الخبر من البلدان
يصوم الناس فى شعبان
 ويفطرن فى رمضان

وهذا عندى من الاضافات التى قيلت على نمط حديث
الشيخ ونسبت اليه وهى بلا شك تشبه نبرة الشيخ ولكنها

تختلف عن مضمون حديثه لانه ظل يدعو الناس لاستعمال عقولهم ويأمرهم بترك الترجيم والدخول فيما ليس لهم به علم أو دراية .

ومثل هذا الحديث الذى ينافى سلوك الشيخ حذفت أقوالا وحكايات كثيرة وحسبى ما أوردته ففيه ما يلقي الضوء على سيرة هذا الرجل العلم الذى حفر اسمه فى سجل الخالدين وقد عاش حياة حافلة حيث امتد به العمر الى أن بلغ المائة سنة حسب توافق الروايات .

سلوك الشيخ

قالوا أنه بعد أن حفظ القرآن ودرس الفقه وتعلم العربية بدأ كأهل زمانه ساح ودخل الخلوات وسكن فترة بمنطقة (بنسو) بالقرب من الروصيرص ومن آثاره هنالك الغار الذى كان يتخذة خلوة . وقام عنده اليوم خزان الروصيرص وحكوا أن غاره الاول قام عليه خزان سنانار وقيل انه طاف منطقة الفونج قرية قرية وجبلا جبلا وزعموا أن أهل الفونج سموا الجبال التى تبدأ أسماؤها بحرف (الفاء) تيمنا به . فارنجه - فازغلي - فاقشن - فاليد - الخ . .

والواقع ان لغة القوم هنالك تجعل (الفاء) أداة تعريف للعشيرة أو الجبل ولا صلة لها (بفرح) الا عند العامة . يقولون أيضا أن الشيخ فى أول عهده بدأ بالتصوف وكان علم .

يتخبط كغيره من دهماء المشائخ الذين يتعبدون من غير وذكروا قصته مع الجماعة الذين لاقوه فى سياحته وسأله عن صحة عبادته فجادلهم وجادلوه وقالوا انهم أكثر منه

عبادة وخشية • فوضع لهم قصبة من (سيقان) الذرة
الواحية على قم بشر وقال لهم من كان منكم يعبد الله حقاً
فليقف على هذه القصبة فأسقط في يدهم ومشى هو على
القصبة بل ووقف عليها برهة طويلة وهو يسبح ويحوقل
والله أعلم • • وروايات مثل هذه كثيرة ارتبطت به أصفح
عنها لان فيها شيء من الخرافة وعدم المعقولية وان كانت
في زمنها مقبولة ومعقولة •

مايهمنا اعتدال سلوكه ورجوعه للطريق السوى وذلك
بعد أن رأى عبث كثير من المشائخ وتنكبهم الجادة وانشغالهم
بالدنيا وتبطلهم واعتمادهم على الاتباع في كسب
الرزق •

رأى منهم هذا وغيره فأنكره بكل جوارحه وانصرف ينحو
نحو آخر كان فيه القدوة الحسنة •

العمل

أول شيء فعله والزم نفسه به الى أخريات أيامه هو العمل
(بيده) وكان فيه القائد والرائد وهو أول شيخ في المجتمع
السنارى يخرج من جمهرة المشائخ بفلسفة العمل •

وكان يرمى من ذلك لهدفين أولاً توخى الحلال من الرزق
ثانياً : ابتكار أسلوب جديد لكسب العيش لم يعهده كثير
من أبناء ذلك المجتمع الذى يسخر من العمل اليدوى والحرفى
وكانت تدور كثير من الحكم والامثال عن استهجانه •
وأحسب أن ظاهرة الترفع عن العمل اليدوى عرفتها معظم
الشعوب فى طور من أطوار ترقيقها وتحضرها ومن الامثال
والحكم التى وجدها الشيخ على الشفاه الاقوال التى تنسب

لود أب زهانة .

ود أب زهانة

ود أب زهانة شخصية عاشت أيام المملكة السنارية
واكتسبت شهرة من كثرة مانسب اليها من أقوال تدعو الى
التبطل وتستخف بالعمل وكان تأثيره على المجتمع المحيط
به قد بلغ حدا . أفرز جيلا من الاتباع الذين سعوا لتأخير
عجلة الحياة باتباع سبيله وقد أدرك شيخنا ود تكتوك
مايكن وراء أقوال ود أب زهانة من خطر على المجتمع
ولا سيما أن الشيخ عاصره في السنوات الاخيرة من
عمره .

ولم يكن في ذلك مايستغرب فقد كان الشيخ فرح حربا
على المشائخ المتبطلين . بل حتى على الحكام غير المستقيمين
نقدمهم ووجههم كما سيأتى . كذلك تابع سيرة ود أب زهانة
وفند أقواله واستبدلها بالحكم الجادة ولم يكن مستغربا
كذلك أن يكون سلوك ود أب زهانة على النقيض مما جاء
به الشيخ فرح ، فقد نشأ ود أب زهانة فى ظروف عائلية
واتصف بمثالب شخصية حالت دونه وتلقى العلم ، بينما
نال شيخنا فرح ود تكتوك حظا وافرا من المعرفة .

تزعم الروايات الشفهية أن المنسوح حمد المنسوح هو
الاسم الاصل لود أب زهانة . ويعتبر والده من الاثرياء
المعدودين حيث كان يملك عديدا من قطعان الماشية ، الابل ،
البقر ، الضأن الخ . . . ووالده يدعى حمد المنسوح المكنى
أب زهانة .

والسيدة زهانة هى كبرى كريماته فكنى بها وانتقل الاسم

لابنه عن طريق الارث والشهرة فصار المنسوح بن حمد المنسوح هو المعروف بود أب زهانة . شب ود أب زهانة في حجر « جدته » فأثرت عليه وعلى سلوكه في مقبل أيامه .

كانت جدته لأمه تحبه حبا جما فحرصت على ألا يذهب للخلوة مثل اقارانه فكانت تأتي له بالمعلم حتى بيتها فحفظ أ - ب - ت - ث - ثم الحمد والمعوذتين ثم عزف عن القراءة فتركته ثم ضمه أبوه لرعاة الضأن فمل رعى الضأن وتحول لرعى البقر وهجره بلا حجة وانضم « انقيبا » مع جده « الانقيب هو صبي يتبع راعى الابل » .

فسلاها بلا سبب وعاد لجدته يمارس معها زراعة الجروف وعند طور المراهقة زوجته فأنجب طفلين وهو دون العشرين وحدث مالم يحسب له حسابا اذ توفيت جدته فورث نصيبها وبعد عام لحق بها والده « حمد أب زهانة » فانتقل اليه المال كله وأصبح ممن يشار اليهم بين أثرياء البلد وشاع وطار اسمه بين القرية والبادية وأصبح موضع اعزاز بين عشيرته .

وصارت أيامه كلها نعمة وسعادة وفجأة وبلا مقدمات وتقديم أصيب ود أب زهانة بمرض الزواج .

فظل يتزوج ويطلق ويطلق ويتزوج ، ورزقه الله عبر تلك الزيجات عدیدا من الابناء والبنات يحسبون بالعشرات حتى قيل انه كان لايعرف منهم الكثير الا بعد جهد .

فكانت المرأة تتقدم اليه بطفلها أو أطفالها فلا يعرفهم الا بعد لأي ، والشاهد أن ود أب زهانة كان يملك كل مقومات الاغراء والقبول فهو عزيز النسب عريض الثراء .

ثم هو وسيم خفيف الظل سريع الخاطر ورغم تلك
به مناقص أهمها من الناحية التكوينية البدانة المفرطة أما
المناقص الخلقية فهو سميع يسمع ويصدق كل ما يقال له
صدقا كان أو كذبا وداء السمع والتصديق هو الذى رفع
باسمه لعنان السماء .

ان قيل له أنت أكبر من ملك سنار صدق ذلك . وان قيل
له أنت أعلم من « تاج الدين » لم يشك فى هذا (١)
وان قالوا له ان قارون لايساوى غناؤه وبر اهلك آمن
وصدق .

ومن آفات ود أب زهانة الاخرى حب الفخر والنفخة حتى
بعد أن أتى الدهر على ماله . تعرضت سنار لكوارث
المجاعات والابوئة والحروب فكان فى كل مرة يتمرض
الناس للهجرة حفاظا على ارواحهم وممتلكاتهم .
وتفرق أبناء ود أب زهانة بهذه الطريقة واختلطوا بجميع
أهل السودان فتم الزواج والانصهار .

وظنى أن له فى كل بيت من البيوتات السودانية التقليدية
صلة رحم وبالتالى ميراث طبع من « جد الجميع » السيد
ود أب زهانة .

لانى أرى كثيرا من تصرفاته وسلوكه ومأثوراته يتحلى بها
حفدته الميامين وغير الميامين على السواء .

أقوال ود أب زهانة

خلال فترة الثمانين سنة التى عاشها ود أب زهانة خلف

(١) تاج الدين البهارى هو العالم الصوفى المشهور الذى ادخل الطريق القادرى
السودان

كثيرا من الاقوال المثبطة للهمم القاتلة للروح والطموح ،
وقد آمن بها بعض أفراد المجتمع وبعضهم أشاعها ولم يعمل
بها وغيرهم أضافوا اليها بقصد التهكم والسخرية وحسب
الناس فى زماننا هذا انها حقائق « فقط » لانها انحدرت لنا
من أسلافنا وهذا خطأ كبير لان ما ورثناه ونرثه من ثقافات
السلف ليس كله صالح وليس كله ضار والسدى يجب أن
نأخذ به هو الفضائل الاخلاقية وما يلائم روح العصر
وموكب الحياة الزاخرة وندع غيره .

ولتبيان ذلك الفهم غير المستقيم الذى سلكه ود آب زهانة
وأعانه عليه وضعه الاجتماعى وفصاحة لسانه .
نمضى معه عبر هذه الاسطر كيف يقضى ود آب زهانة
يومه .

يقال انه يفتتح يومه باصلاة « متأخرا » ثم يتناول القهوة
حتى الفنجان السابع . ثم يحول له سريره من صحن الدار
الى « ضل » الضحى ويدخل فى نومة الضحى وهى عنده
مما يطول العمر ، وأصبح ذلك مثلا « نوم الضحى يطول
العمر » ويصحو عند انكماش الظل متثاقلا فتسرج له دابته
فيركب عليها فيصل بيت زوجته الاخرى فى طرف القرية .
فيترجل عن دابته ويدخل « الراكوبة » ويجد العنقريب
« الهبابى » معدا وهو سرير خفيف ينام عليه ساعة القيلولة
ثم تصنع له زوجته الثانية قهوة النهار فيرشفها رشفا حتى
الفنجان السابع ثم يتناول الغداء ويضع وهو يردد
عباراته المشهورة التى صارت مثلا « من تغدى تمدي » وله
رواية من تغدى تمدي ولو الحرب دائرة .

ثم يصحو عند اصفرار الشمس فيطوف على بيوت الجيران
يتحدث في أحقر الامور - فلانة وضعت وفلانة حامل ،
وتلك طلقوها وأخرى خطبوها فيدركه المغرب ثم يتحرك
جارا رجليه جرا نحو مجلس الشيوخ فى ساحة الخلوة فيسلم
عليهم فردا فردا .

ويسأل عن كل شيء « لا يخصه ولا يهمه » فالخرج الذى
يتعرض له السائل أو المسئول لا يقيم له وزنا .

ذات مرة جرى بينه وبين « البو » هذا الحوار :

البو - أرضك من الذى يزرعها

ود أب زهانة - أزرعها أنا أو أولادى

البو - أرضك عرضة للجفاف

ود أب زهانة - يطلق حكمة من حكمه « من سكاها ما
لحقها » وينتزع زمام الحديث من « البو » اسمع يا أخى -
الدنيا من خلقوها الناس تزرع وتخدم ماذا فعلوا . . ما
سمعت بالمثل :

اليجرى جرى الوحوش

غير رزقو ما يحوش

أنا يا ابن العم تعبان على من « الحى رزقه حى » وربنا
عايش الدودة بين حجرين (وربنا ماشق حنكا ضيعو)
أنا والله مؤمن بالقدر ولا أريد أن أتعب جوارحى الوادى
شرب أب زهانة قوم للزراعة . قام عليكم البلاء ! تزرعوا
من زمن حفروا البحر عملتوا شنو . ياناس خليكم مؤمنين
ثم يتفض المجلس ويتحرك نحو دار زوجته الثالثة لان دارها
أقرب للخلوة .

فيتعشى ويخالف القاعدة المشهورة بعد العشاء لان المثل يقول (من تعشى تمشى) فيضجع ود أب زهانة ويفط في نومه ولا يحركه الا لفتح حرارة شمس الغد مع غشاء الشياه وخوار الابقار فيلعن أبو الحيوان ويطلق حكمة أخرى وهو يتمطى من تعب النوم .. أخ .. (النجوم خريف العين) .

هذا وبعد أن تضجع ماله مال نحو الاستدانة فكان يقترض الماشية والنقود ويدفعها لمن يشكرونه أو يعدونه بالزواج ومن ضمن توجيهاته لابنائه وأصدقائه :

- ١ - إِدِّينْ وَأَتَبِّينْ
- ٢ - الذِّينْ فوق الكِتُوفِ .. والاصل معروف
- ٣ - أَكَلْ عَجَبْكَ ، وَأَلْبَسْ عَجَبْ النَّاسِ
- ٤ - كَانَ كَثُرَتْ الْهَمُومُ أَرْقَدْ نَوْمُ
- ٥ - رَزَقَ اللَّيْلُ ضَيْقُ
- ٦ - الصَّبْرُ ضَلَّ النَّبِيَّ

وشاعت حكاوى ود أب زهانة وقصصه وصار شخصية خيالية مثل جحا - وأشعب أو ود نفاش الذى يعيش بيننا الان ويعتبره الكثير منا شخصية من الاقدمين ثم أضاف المجتمع السنارى فى أخريات أيامه بعدا جديدا لشخصية ود أب زهانة عدوه من الصالحين وما أكثرهم فى ذلك الزمان - ثم أتى جيل لون شخصية أب زهانة حسب مزاجه وتصوره وسمعنا بعد نحن أبناء هذا الجيل الذى عرف الفنادق واللكوندات ، المثل المنسوب لود أب زهانة :

يَأْكُلُ فِي اللُّوَكْنَدَةِ وَيَنُومُ فِي الْجَامِعِ

تابع الشيخ فرح هذه الامثال والحكم وفندها علميا وعمليا
فكان عندما يسمعها يدفعها بمثل هذه الاقوال :

الاستراح راح

الشَّقَا لِقَا

من كد وجد

الى آخر أقواله مما يصنعه هو ومما قاله السلف الصالح
ومن الامثلة التي وجدها شائعة بين الناس في ذلك
العهد .

الساعة

ولا الزراعة

المعنى أن قيام الساعة أهون عندهم من العمل بالزراعة
فسأل الشيخ عن منشأ هذا المثل ف قيل رعاة الابل فرد
على قولهم ساخرا من حديثهم :

الجمالة

الدنيا عدوها جُواله

والاخرة فاتوها بى حاله

وفوجىء السلطان وبلاطه وأولاد المراتب برجل يحسب من
المشائخ الصالحين يخرج كل يوم مرتين فى موكب غريب
شيخ يحد هذا الموكب وفى كتفه اليمنى « اللوح » وعلى
كتفه الايسر (السلوكه)

ومن خلفه وعن يمينه وشماله شباب وشيوخ يحملون
اللوحة والدواة بيد . وبالاخرى أدوات العمل الزراعى .
وتهامس المشائخ . سبحان الله آخر الزمن

ناس تَخْدَمُهُمُ الدُّنْيَا وناس تَخْدَمُن ٠٠٠

فرح ود تكتوك يبقى كلب دنيا ٠٠
وسأل أحد من فرقة ود أب زهانة تلميذ للشيخ فرح قال
« وين شيخكم الفارغ » قول ليه « كان تجرى جرى الوحوش
غير رزقك مابتحوش »
فأخبر التلميذ الشيخ فرح بقول ذلك الرجل فقال له
الشيخ فرح ان لقيته مرة أخرى فقل له فرح قال لك :
انت الفارغ

اللاك حاش ولاك زارع
وقد واجه الشيخ عنتا وسخرية من مجتمع يترفع كثير
من أهله ووجهائه عن العمل باليد • دعك من شيخ يفترض
فيه الصلاح ، والصالح حسب أعراف بعضهم لا يعمل
بيده •

والمجتمع فى ذلك العهد كان يتغنى ويسخر من الذين
يعملون بأيديهم ولهم قصائد وأغنيات كثيرة من هذا القبيل
وتلك أطراف مما كان يتغنى به مجتمع الامس اخترتها من
أغانى وسط السودان وغربه •

عرديب

مازرع القطن ما قَلَقُوا واسقا
ما شال الملوّد ما بَمَلَا ايدوا واطا
عرديب كردفان كَمَى القلوب فى سما
دَقَر المربطا البلدغو بياذا

غنيـلو يا أم كنـان
 مازرع القطن مآحَتَّ بِي مُحجَّان
 ماشال الملود مآيرعى ساق الضان
 فارس المدعكة صمد اليجن ريقان
 مُو صمد اسواقى اللابس الدلقان
 مُو تربال سواقى وماحَرَسُ وبان
 مُو تاجر تُشاشَا وما رجع ميزان
 صمد الروقلن فعل البيجن كيران
 يَتَلَّتْ مَحَل مآيه مل دشمان

الحش
 تَبَّ الشالو مَلُود

ودنقر حش فى الفود (١)

هأادا العيص مشدود

قارح ماهو قعود (٢)

هذا وازدراء العمل هنا والترفع عنه يرجع لتأثير أعراف

الفروسية على سلوك الشبان .

فهم يتصورون أن الذى يعمل بيديه هو الخائر الجبان فهم
 يرون الكمال فى قطع الطريق والسلب واغتصاب
 السائمة من أصحابها هذا هو العمل عندهم ويليه الرعى

(١) الفود - الفود

(٢) القارح - المكنمل القوى

وما دونه فهو هوان •

هذا وتلك نماذج من الشعر النسائي الذى تنظمه المرأة
ويسمح لها المجتمع حسب الاعراف البدوية أن تتغزل
وتحكى حكايات الحب من خلاله •

والمقطوعات التالية اشارات واضحة كذلك للعمل أو هذا
مايهمنا فان الفتى المثالى هو الذى لايعمل بيده كما تشير
تلك النماذج من المقطوعات الشعرية •

مَا فَجَّرَ لِي جُودَا (١)

تَابِعِ الْبَيْ قَجَاجَا

يَا قِطْعَ الْوَسَادَةِ

جَمَالِكَ تَرَكَهُ وَعَادَهُ

نَاسَ الْحَنَى فِرْعَوَا (٢)

وَأَنْدَمَ أُمَّهُ وَجُوعَا

عَجَبِي الشَّالَ مَمْنُوعَا (٣)

وَكَدَى لِي بِيَلَا رَتُوعَا

مَا طَقَّ جَنِينَهُ

وَمَا تَفَنَّنَ إِيدِنَهُ

جَدَى الرِّيلِ - بِرَعَى وَوَطَا طَزِينَهُ

مَا طَقَّ هَشَابَهُ

وَمَا بِيَا كُلِّ السَّلَابِ

(١) الجودا - تجويد الارض - املاحها

(٢) حنى الفرع - عطفه واماله

(٣) الممنوع - السلاح الناري

جدى الريل - مرعاه فى الجرابه
المزن الرَوَّقُ
البى صَمِيدِ إِشْوَقُ
ما بطق هَشَاب - بى ها الجزر بِسَوَّقُ

بِمُشِّ وَيَتَكَّى
سِنِّكَ تِرْبَاعِ الْفَكَّة
مَاطِقِ هَشَابِ بى عِيَالِ الْبَرْقَا زَكَا

مثل هذا الغناء وغيره وجده الشيخ فرح شائعا فى مجتمعه
فكان حافزا له فنظم الشعر الغنائى يمدح به من يعمل
ويكده وخصص الشطر الاكبر منه للزراع . هذا، ومازال
هذا الغناء الخانع منتشرا فى بعض الاماكن وبعض أغنيات
منه تبث أحيانا من أجهزة الاعلام .

ثم أجمع معظم المشائخ على أن الشيخ فرح بفعله هذا سلك
سلوك طالب الدنيا وكانوا يحاجونه بقولهم « الضعيف »
من يخدم الله
تخدمه الناس

فكان يرد عليهم بالحديث الشريف « من بات كالا أو من
عمل يده بات مغفورا له » (١)

(١) الجامع الصغير - حرف الميم

وجد الشيخ نفسه بين العمال والزراع والرعاة وكل
الكادحين أصبحوا أحبابه وأتباعه وأنصاره .

وكان رحمه الله لا ينطق الا بالحكمة وعن دراية ومعرفة
بدخائل من يعاشرهم ومن يوجههم . شكا له أحد الزراع من
ألم فى يده واسم الرجل « البدرى » قائلا « أعزم على يدي
ياشيخنا » . فمسك فرح يد البدرى وشرع يعزم عليها

يا إيدَ البدرى
قومى بدرى
أتوضى بدرى
صلّى بدرى
أزرعى بدرى
حشّى بدرى
أحصدى بدرى
كدي شوفى كآن تنقدرى

سأله عن المال وكيف يجمع فقال :

المال يا حرّاته
يا وراته

وكان ينظم الحكم الطريقة حفزا لهم المزارعين فمن
قوله فى مدح المزارع

الْحَرَاتُ بِرِيدِهِ رَبَّنَا الْقُدُّوسُ
قَدْ حُوِيَ فِي الْمَلَمِ يَبْقَى دَوَامٌ مَدْعُوسُ
فِي الدُّنْيَا جَابُولُو الْفِي الْعَيْبُ مَدْعُوسُ
وَإِنْ مَاتَ سَاقُوهُ عَلَى جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ ..

ولعلها أول شهادة تصدر في مجتمع سنار بحق العمال
والزراع يجزم لهم وهو صادق أن الله يحب « الحراث »
ثم إن الزارع رزقه أوفر . فهو في كل مناسبة يشـارك
الجماعة . بقـدح « مدعوس » كأنه السنام والأشبار للدعس
كناية للخير الوفير الذي يجنيه من يعمل ويكدح في فـلاحة
الأرض .

ويضيف أن المزارع يكرم في الدنيا حيث ما حل « جابولو
الفي العيب مدعوس » والعيبة هي وعاء من الجلد الناعم
أدق صنعة من الجراب توضع فيها نفائس الأشياء ولا تخرج
إلا للعظماء أمثال الزراع .

والبشرى يسوقها لهم في متن المقطوعة الأخيرة إن مات
أحدكم فمأواه جنة الفردوس .

ثم يحضهم على مواصلة العمل خصوصا في الأيام
والليالي التي يشتد فيها الحر ويصعب العمل بقول
يفيـض بالحكم فيشـعـذ همهم ..

بِمَيْتِكَ لَا تَجْهِهِ فِي لِيَالِي الْحَرِّ
جَاهِدِ الْأَرْضَ مَعَ الْمَلُودِ إِنَّكَ
لِيَالِي تَفَاهَا يَا أَخُو لَا تَنْفَرْ

سَيِّدُ الْعَيْشِ عَزِيزٌ عِنْدَ الرِّجَالِ تَنْجُرْ

المعنى : ينصح بعدم المجيء للبيت في زمن الفيض لأنه

مدعاة للكسل • والملود آلة معروفة • تستخدم في «الحش»
« انكر » الانكرار المصانعة المتابعة •

ويضيف تلك ليالى قصيرة (تافه) اياك اياك أن تنفر •
الانفرار هنا رقاد الكسالى وهو رقاد فيه كل أسباب
الرخاوة والدعة ••

ثم من بعد فان صاحب العيش عزيز لان الرجال (تنجر)
تسحب أرجلها نحوه طمعا • سأل سائل عن أنه يريد بناء
ساقية فقال له بطريقته المعروفة الشعر لقومى والمثل
والحكمة :

إِنْ دُرَّتِ السَّوَاقِي وَسَّعَ الْاَقْنِينِ
وَفِي سَعَايَةِ الْبَقْرِ لَا تَزِيدُ عَلَى جُوزَيْنِ
وَدِرْدِيمُ الضَّانِ لَا تَمْرُقُ مِنَ الْعَيْنِ
أَنْ صِرْمَ يَغْنِيكَ وَيَحِلَّ الدِّينَ

المعنى والمفردات : ان من أراد عمل (الساقية) فعليه
توسيع « الاقنين » وهو (الجاييه) التى يتجمع عندها ماء
توسيع « الاقنين » وهو (الجاييه) التى يتجمع عندما ماء
بحفر الجاييه ثم يحضر البقر ويدعوه لان يسعى الضان
حسب الحاجة « ديدرمد » تصغير دردم وهو القطيع • ان
صرم (الصرمة) الحاجة عند العامة •

ان احتاج أصحابه لبيعه أغناهم وحل دينهم •
العيش

وبينما هو وأتباعه فى كدهم وجدهم دهمتهم سنة عجفاء
شح فيها الخريف وانخفض انتاج العيش وقد أثر هذا الشح
على مخزون الدولة من الحبوب • فأصدر السلطان أمرا

للمشايع بأن يجمعوا العيش من الاهالى بالشراء أو بالسلفة .

فجزع الاهالى من هذا الامر لانهم جربوا عدم الوفاء مرات وطلق المشايخ والمقاديم والجند يحثون الاهالى ويقرونهم وأحيانا يتوعدونهم .

لما اشتدت وطأتهم على الاهالى لجأ بعضهم للشيخ فرح يستشيريه كيف يتصرفون . فقال لهم :

جراده فى الكفّ وَلَا أَلْف طائره

حافظوا على قوت عيالكم أولا وما فاض ان وثقتم بأمر السلطان أعطوه ، ثم اتصل المقاديم بالشيخ فرح وتلوا عليه أمر السلطان . فقال لهم هذا عيش « نفقة » لا أعطيه للسلطان « عيش النفقة هو ما يخصص للانفاق على الطلبة وأبناء السبيل » فألحوا عليه وشددوا . فقال لهم ساخرا : انا قبلت أن أبيع لكم العيش لكن امهلونى حتى اليوم التالى .

قالوا له : ماذا تريد أن تفعل وقد قررت أن تبيع لنا العيش .

قال : أريد فى الغد مشاورة العيش فان قبل بعته وان رفض فلا لوم على .

والشيخ موثق أن العيش لا ينطق ولا يحس ولكنه عمد للاثارة حتى يعلم الناس موقفه .

قال الجماعة : قبلنا الشرط فالى الغد .

ثم أتوه فى الصباح ومعهم جمهرة من الاهالى بدافع الفضول ليروا كيف ينطق العيش .

فأخذهم وذهب للمطمورة ووقف عليها وصاح زاعما انه
يخاطب العيش • قال :

يا العيش
هأَيَّ يا العيش

العيش • لا يرد ثم يواصل مخاطبته :

هأَيَّ يا الغُمرى
الذَّاخِرْكِ لِي عَمْرَى
يا لبتَغْدَى فيكِ
وأَتعشى فيكِ
وأصْبَحُ مِشْتَهِيكِ

وزاد تجمع الناس وكثر تساؤلهم وكرر الشيخ قوله
والمطمورة ساكتة لا تنطق فضاق المقدم وجماعته بعبث هذا
الشيخ فانتهره المقدم : العيش لا يتحدث يا شيخ فرح • فض
هذا الاشكال وأعطينا العيش •

فرح : العيش تحدث معي ولكنكم لا تسمعون •
المقدم : ماذا قال ؟

فرح : قال لي :
أَكَا ن بَعْتَ نَوْمَ عَيْنِيكَ
أَنَا مَالِي بِيكَ

الاشارة واضحة من خلال هذا الحوار الذي اصطنعه مع
العيش •

ومن ثم بالعمل والانتاج والادخار • قال :

أَحْفَرَ التَّرْسَ وَأَطْبَقَ الْمُحْفَارَ
وَأَرْضَ بِالْخِدْمَةِ فِي النَّهَارِ الْحَارِ
يَرْضَى عَلَيْكَ الْوَاحِدَ الْجِبَارِ

فِي الْخَرِيفِ كَثُرَ حَشِيشُكَ (١)
وَفِي الصَّيْفِ كَثُرَ طَشِيشُكَ (٢)
إِنْ خَتِيتَ خُمَارَةَ دَرِيشُكَ (٣)
الدَّانَاةُ مَا بَتَعِيشُكَ

المناظرة :

ويسمونها مجتمع الامس «الجلسة» ويحكى انه جالس وناظر
عدة مشائخ كالشيخ عبد القادر ود هجو « المشهور » بعبس
القادر راجل أم قزازة وتلاميذه كما ناظر الشيخ محمد ود
عبد الحى . افتتح الشيخ محمد ود عبد الحى الحديث مفاخرا
قال . . .

أنا محمد ود عبد الحى
أنا النَّجِيزُ مَانِي
أنا ود عبد الحى يابس كدادة
خَنْصَرُ الدِّيكِ وَقَدُّومُ الْجَدَادَةِ
واستهل الشيخ فرح حديثه قائلا :
أنا فرح الوَنِى
أول امرى مَنِى

(١) حشيشك - الحش ازالة العفيليات من الزرع

(٢) طشيشك - السفر بلاهدف

(٣) خمارة دريشك - ما هو اكلك الغاص

وَمَوْضُوعٌ فِي مَحَلٍّ شَنِئِي
لَوْلَا فَضْلُ رَبِّي الْغَنَى
لَا بَتَلَمَسَ وَلَا بَتَدْنِي

هذا واهم جلساته ومناظرته كانت مع فرقة الزبالعة فمن
هم الزبالعة :

الزبالعة ..

يقول المستر هيلسبون

تشير يوميات امين باشا التي لم تطبع ، حسبما ورد في
المجلد الرابع ص ١٦٠ بتاريخ ٤ ر ١٠ ١٨٨١ الى عادات
وتعابير غريبة والى طريقة دينيه لا تقل غرابية عن تلك
العادات والتعابير هي جماعة « ابو جريد » التي كانت عند
النيل الازرق - لقد كان من الاشياء الممتعة اجراء استطلاعات
عن هذه الجماعة التي كانت غير معروفة وعن عاداتها
ومعتقداتها حيث انها تعطى مثالا حيا لفترة الاسلام الشعبى
لغير المتعلمين والذى يختلف كثيرا عن الدين الاصل .

ان المعلومات الاساسية التى وردت فى هذا المقــــــــــــــــال
اسخلصناها من النبذه القصــــــــــــــــيرة عن هذه الطريقة التى
تحصلنا عليها من الشيخ ابو القاسم بن دفع الله الدنيايى والذى
وجدنا لديه معرفة واسعة بجماعة أبو جريد .

ويقول الشيخ ابو القاسم بالرغم من ان هذه الجماعة
قد سميت على ابو جريد ولكنه لم يكن هو الذى اوجدها او

حتى لم يكن قائدها • والموجد الحقيقي لها هو « أبكر »
ويرى الشيخ ابو القاسم ان الشيخ عبد الله العركي - كان
قد أدى فريضة الحج عدة مرات وفي مرة من تلك المرات عاد
بصحبه سبعة من اشراف مكة • الذين اقاموا في السودان
كرجال دين وكان احدهم وهو محمود الغريب الشريف
الحسيني •

قد ربط نفسه بالشيخ عبد الله العركي واخذ تعاليمه
وطريقته وقد تزوج • الشريف محمود الغريب امرأة من ابي
حراز وولدت له ابنا هو أبكر « مؤسس فرقة الزباله » وقيل
انه عاش منقطعا للعبادة بعد وفاة والده حيث لازم الخلوة
« ودرس الاسماء » دون وسباطه من احد او موجه روحى
وبالرغم من انه كان اميا ولم يتلق اى تعليم ويقال ان
الاشرار اخذوه جانبا وعملوه اسرارهم من « نفث العقد » •
وهناك رأى اخر يقول بأن « أبكر » لم يعيش حياة انقطاع
او ملازمه للغلاوى ولكنه انضم الى بعض الذين تخصصوا
فى فنون السحر وقد علمه هؤلاء النوبة تلك العلوم والفنون
السحرية • وكلا الرايين متفقان على ان مؤسس جماعة
« الزباله » هو أبكر ولم يكن اب جريد سوى خليفة
له ولكن سمعته كانت اكبر من أبكر • ثم تلاهما الخليفة الثالث
« كرين الذى كان له دور بارز فى تاريخ جماعة الزباله
وتعرف ذرية كرين حتى اليوم بانهم خلفاء الطريق
« وخليفتهم الحالى والذى لقيته فى يوم ١٧ فبراير ١٩٧٥ !!
واشهر اتباعهم قديما وحديثا هم الرواشده - كنانة التافات

— المنصوراب والعوامره وغيرهم •

ويرى الشيخ محمد عبد الرحيم المؤرخ المعروف •

ان ادم اب جريد ولد قى قرية « تباخه » غرب الحاج
عبد الله ويرجع اصله الى قبيلة كنانه « وكان اميا لا يعلم
شيئا ولكنه ذو دهاء وذكاء تظاهر بميله الدينى وحبه
للتصوف فأخذ الطريقة القادرية على الشيخ « ابيعقوب » ثم
انفصل عنه واشتغل بالعبادة والنسك •

وكانت لهم أناشيد تدل بوضوح تام على ان تلك الضلالة
مقتبسة من مذاهب الشيعة ومنها قولهم (١)

البُوبُ للنبي والبُوبُ جِبْتَهُ بالنم

واوجدى وكِت اطرى الرشيد ادم ••

الجرجر نغيلو وسيسبانو برم

النجم العتيقة وما اشتغل بقلم

ولهم أناشيد فى الامام على تدل على تشيعهم كما اسلفنا
فما اشبههم « بالبابكية » المنسوبة الى بابك الخرمى الذى
كان من الباطنية والذى ظهر شوالى ٢٠١ هـ ٨١٧ م وذكر
الشيخ محمد عبد الحليم بعض الوقائع عن الزباله قال
ومن الغريب المدهش ان للزباله امور خارقة للعادة لازالوا
يتعاطونها عيانا مثلا منها •••

عقدة الزباله اذ رأت امرأة من بعلها نفورا لجأت الى احد

الزباله وبسطت له وقائع المسألة ونفخته بشيء من النقود
وهناك، يعمل لها عملا يصير ذلك الرجل كالة صماء في يدها
تحركه كيف شئت ولا يعصى لها امرا .

٢ - اذا خاف الزباله بطش التمساح فى النيل صنعوا
تمثالا من الطين كهيئة التمساح ثم رقو رقيه على خيط
وربطوا به فك التمثال ووضوعه بحافة النيل ونزلوا الى
النهر حالة كون التماسيح تظهر وتختفى حولهم فلا تستطيع
الدنو منهم ولا من ماشيتهم مالم يكسر التمثال الموضوع
بحافة النيل .

٣ - اذا عادت الابقار من المراعى وهمت العجول الى لقاءها
يرسمون خطا على الارض بين الابقار والعجول فلا تستطيع
بقرة بان تجوز من فوق ذلك الخط الى فصيلها حتى تحلب
ويطمس ذلك الخط من الارض .

٤ - حدثنى المرحوم محمد افندى على ارووط المحاسب
بمديرية النيل الازرق قال : لمارات ؟ الحكومة سنة ١٣١٥ هـ
١٨٩٨ ميلادية .

انتداب ابراهيم افندى جراب الفول الموظف بمركز مدنى
ومعه أحد رجال البوليس المدعو - ابراهيم قادوس - لاحصاء
حيوانات سكان حلة الرواشدة - الزباله - استأنت امرأة من
نساء الزباله وقالت لهما « ان أرجلكم هذه التى تجرون بها
خلف أبقارنا لاتمشون بها على الارض فسقط الرجلان على
الارض وعجزا عن القيام فجىء بهما محمولين الى مدنى .

وربما كانت تلك القصة من الخرافات التى يصدقها العوام
ولا نصيب لها من الواقع لانها تنافى الدين والعلم وربما كان

للايحاء ولايهاهم نصيب كبير في تصديق العامة لهذه
الحوادث .

وقد ذكر ود ضيف الله في ترجمته للشيخ حمد ود التراي
« الزباله » حيث حكى أن امرأة اسمها (عايدة) قالت الرجل
هذا « وتعنى حمد ود التراي يحدثونه الزباله بالواقع
ويقول بكاشف (١)

هذا وقد حاربت كل الفرق الصوفية هذه الجماعة خصوصا
المركيين أكثر الناس معرفة بهم بحكم الصلة والجوار .
كما حاربهم وقتلهم الشيخ بدوى ود أب صفية عندما دخل
معهم فى معركة دامية، ايضا حاربهم وفند حججهم واراءهم
الشيخ فرح ود تكتوك وقد ذكر الشيخ أبو القاسم الدانيابى
ان ظهور الشيخ فرح كان كارثة على الزباله لانه عارضهم
بشدة وأوقف زحفهم وقد التقى بهم وبزعيمهم الشيخ
« كرين » واستطاع مناظرتهم وقهرهم بعد لقاءات متعددة
ولكنهم أذوه قى عرضه وماله ونفسه .

حَيْرَانُ أَبْ طُورِه

العشرة ما يَقْرَءُ السورة

فمن حكاياتهم معه انهم وجدوه بالقرب من البحر فصاحوا
فيه واستفزوه ولما لم يستجب لهم « بال » واحد منهم عليه
فقال لهم جزاكم الله خيرا .
قد كنت شاكا فى طهارة ملابسى ودا الحين قطعتم لى الشك

ونزل البحر واغتسل .

(٢) ومنها أن الشيخ كان يبني في حجرة « قطية » ولمَّا اكتملت مرت به عصابة منهم وتصايحوا كالعادة فلم يلتفت اليهم فمالوا نحو البيت الجديد واخذوا يشلمونه « يهدمونه » فانضم اليهم الشيخ وشرع يخرب معهم وكان يردد ساعتها قوله المشهورة :

قُلْتُوْ خَرْبَانَه يَا الْفُقَرَاءُ

خربانة

أم بنايَا قَشْ

(٣) وذات مرة وجدوه يرقد على سرير تحت ظل شجرة بالقرب من النيل وناوشوه فلم يجاريهم ثم حملوا السرير وهموا بالقائه في البحر فتعشروا وخافوا وكانوا يرددون اسم شيخهم « كرين » مستغيثين به فالتفت اليهم الشيخ وقال :

يَا أَبَانَ طَرِيقَةً مُضِلَّهُ

يَا أَبَانَ عَمَلًا مَا هُوَ لِي اللَّهُ

وَكُنْتُ الْعَنْقَرِيْبَ فَوْقَكَ أَنْبِلُهُ

مَا يَنْفَعُكُمْ كَرَيْنٌ وَدَّ عَبْدُ اللَّهِ

(٤) ويحكى انهم وجدوه في ظل شجرة فحصبوه بالعجارة فأصابه حجر على أم رأسه حتى سبال دمه . فشكرهم قائلًا : جزاكم الله خيرا يا الفقراء .

كنت أنوى أن اتحجم وها أنتم وفرتم على هذا بخروج الدم

مناظرته مع كرين

والمناظرات كانت معروفة ومنتشرة في معظم أرجاء المملكة السنارية وكانت تسمى (الجلسة) وهي التي يؤمها العلماء والفقهاء، وأهل الفكر بخاصة .
وأيضا عرف مجتمع ذلك الزمان (الكرة) وهي اجتماع العشائر والقبائل البدوية والرعوية ومن على شاكلتهم للصلح وحل المشاكل . كذلك عرف مجلس «الاجاويد» .

ود بقادى

وقد اشتهر الشيخ ابراهيم بقادى من الفقهاء في آخر السلطنة الزرقاء بمناظرة العلماء الذين يفدون على سنار ممثلاً للسلطان لان الادعياء وأشباه العلماء استشرى أمرهم وكل من دخل سنار ادعى العلم والصلاح .
وكان ذو باع طويل في علم العربية والمنطق والفقه وله قصص وطرائف أهمها ماحكاه الشيخ أحمد حضره عن الاعداد للمناظرة التي كانت ستجرى بينه وبين السيد محمد عثمان الميرغنى الجد الأكبر للنجمية ثم توفي ود بقادى فجأة .

الشيخ خوجلى والزبالة

حكى أن الشيخ حمد ود أم مريوم تقدم بشكوى لسلطان المبدالاب بقرى الشيخ عبد الله ود عجيب .
فحوى الشكوى أن السلاطين كانوا يكرمون الشيخ خوجلى ويعترمونونه وينادونه بعظيم توتى وكبير توتى .

وأحس الشيخ حمد بدخول مذهب الزبالعة لجزيرة توتى فأغضبه هذا لان الشيخ خوجلى لم يتحرك لمحاربتهم فكتب هذه الشكوى ؟ فلما وصل خطابه للسلطان عبد الله ود عجيب كتب السلطان يسأل الشيخ خوجلى عن صحة الشكوى ؟ وما رأيه فيما قاله حمد فرد الشيخ خوجلى ردا ذكيا قال من بعد التحية والتعظيم والاحترام تسألنى عن الزبالعة ودخولهم توتى فاقول :

عنى ماشافت أضانى ماسدّيتا - أحمد ولدى أكان
إزبلع ما خصّانى - وحمد أخونا ما بكضب .
وعموما فان الناس تحامت الزبالعة وكان كثير من أهل
الطرق يقودون حملات متوالية ضدهم . الله اعلم بصحتها
وصوابها .

وقد أطلق عليهم الناس يومئذ (الخامسة) أو الملة الخامسة -
يعنى انهم يخالفون المذاهب الاربعة المتفق عليها عند عامة
المسلمين .

ولا أظن أن احدا من سكان وسيط السودان لم يسمع بكلمة
زبالعة أو لم تطلق عليه يا ولد - ماتزبلع ، خلى الزبلعة - دا
واحد (زبلعى) ماتسمعوا كلامه .

نواصل المناظرة :

قلت أن الشيخ كرين ود عبد الله ناظر الشيخ فرح أو
جالسه كما يعبر الناس وقتذاك قيل أن الجلسة كانت فى

منطقة (بنسو) بالقرب من الرصيرص وحضرها حشد من الناس .

(١) الاتهام الموجه للشيخ فرح انه طالب ديننا ولم يهتم بأمر الدين لانه يزرع ويحصد بيده ويعمل في كل المواسم بلا انقطاع .

(٢) الاتهام الموجه لكرين فساد العقيدة والاشتغال بالعقد والسحر والطلاسم .

الشيخ المصوى يفتتح الجلسة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد فاننا نجتمع هنا لنستمع لحديث الاخوين فرح ود تكتوك وكرين ود عبد الله وأرجو أن يكون الحديث بالصدق والامانة .

كرين : بسم الله والحمد لله

درج الشيخ فرح ود تكتوك على سبنا والتعريض بنا وهذا من باب الغيبة والنميمة .

فرح : بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله . يعلم ربنا الوهاب - اني لم ابدأ السباب ، ولا يعرف طبعي النميمة والاغتياب ولم أقل عنكم الا الصواب ، لانكم مخالفون للسنة والكتاب

كرين : نحن لم نخالف السنة والكتاب يا فقير الله فنحن نصلي .

فرح : أريت صلاتكن ما صلاتى ، المتروكة لبرد الشاتى
كرين : اتقى الله يا عبد الله ماسمعت بى زكاتنا
فرح : أريت زكاتكم ما زكاتى ما تدوها الا السمين
العاتى

كرين : ماشفت يا فقير خلواتنا وضيوفنا كرات كرات
فرح : أريت خلواتكم ما خلواتى
أرضى أرضى وحاتى

كرين : قصر حديثك يا طالب الدنيا • يارفيق الزراع •
فرح : أريت رفاقتى رفاقة السرور • أبان عملا مبرور
أبان سعيًا مشكور ، انتو فى كبرى وسوى الفطور ، وهم
حرتو المسور

ويتصايح جماعة الزبالة به بعد تحرج موقف شيخهم
وأوسفوا سببا وقيل انهم انتفوا لحيته وانفضت الجلسة على
ضوضائهم وعبارتهم المشهورة :

الشاك

فيه مشكاك

الشاك

فيه مشكاك

الفصل الثالث

١ - الحكمة والفراسة

٢ - الرجال

٣ - النساء

٤ - الفقير والامير

الحكمة والفراسة

قلت سابقا أن معظم أهل السودان يعرفون الشيخ فرح من خلال أقواله وحكمه وربما كان الفضل لاسلوبه السهل العفوى الذى يأتى فى قالب سجمى محكم العبارة • ومن الاسباب التى أذاعت صيته أيضا معارضته للملوك واللاطين وبعض مشائخ الطرق من أهل زمانه •

يا واقفا عند أبواب السلاطين

أرفق بنفسك من هم وتحزين

ومن ينتمى للطرق من أهل وقتنا

توقاه وأمسك ظاهر الشرع والخبر

وستجد هاتين القصيدتين فى باب الشعر •

والشاهد أن الشيخ فرح رجل سنى صوفى فى تفكيره ونظرته للامور والاحوال •

كذلك فإن الشيخ لم يتقوقع كغيره ولم يعتزل الناس ولم يسد أذنه بل ظل لصيقا وصديقا لكل من قدم سنا من أهل العلم والمعرفة • عرف أهل الحجاز والمغرب ومصر وغيرهم • ثم حج لبيت الله الحرام فخالط كثيرا من جماعات

المسلمين من شتى انحاء العالم فحادثهم وحادثوه عن امور الدنيا والدين أضف الى هذا قراءته الخاصة والمامة بثقافة عصره . كل هذه الاسباب ومالم أذكر جعلت الشيخ يتابع حركات التطور فى العالم من حوله . وربما كان يرصد ويحلل كما نقول ونفعل اليوم .

ويبدو لى من خلال ما سمعت عنه ان الشيخ لم يكن رجاما بالغيب أو مدعيا علم غيب . انما كان يصدر أقواله ومأثوراته عن تجربة وبعد نظر وموازنة للأحداث الفائتة والآتية . ومن بعد . فان الشيخ يظن به معرفة الدين وهو بهذه الصفة ادرى بالدين واحكامه من غيره وقد سمى الشيخ الرجامين وادعياء معرفة الاشياء الغيبية سماهم (جواسيس الخليفة) كما سيأتى فى الشعر .

وفيما يلى اسوق بعضا من حكمة واقواله وهى منسوبة اليه بالتواتر والتكرار عند العامة والخاصة .

وتلك طائفة مما نسب اليه وظنى انه عندما تحدث عن « بحر » سنار كان يقدر ان العمران سيشمل هذه الرقعة من قلب السودان وليس من باب الترجيم بالغيب ولكنه التنبؤ المبني على الخبرة ومعرفة ضرورات العمران الانساني وقد توصل الى ذلك بالحدس الصادق وهو ما يتوصل اليه علماء اليوم بالدراسة وتراكم الخبرات .

قال :-

يا بحرنا الجارى
بعد الحال
يحفروك بالطوارى

ويطلعوك الضهاري

الضهاري اصلها جمع ظهر وهو المرتفع من الارض
ويقابله البطن ومنه اتت كلمة البطن التي تجمع عند العامة
على (بطانة) وفي رواية ثانية :-

يا بحر سنار الجارى

تحتك بنات الحواري

بعد الحال يحفروك بالطواري

ويبنوك بالبحاري

وحكامك فوقك تباري

تزعّم الاساطير ان بنات الحور تسكن جوف النيل والبناء
« بالبحاري » الحجارة واضح امر بناء الخزان وحكامك فوقك
« تباري » تتابع ذهابا وايابا .

هذا في تقديرى حديث رجل يعرف مايجرى فى الدنيا
ويعرف عن أخبار السدود والخزانات ويعرف أيضا بحسه
العميق قيمة هذه الارض وما ينتظرها من عمران وخير .
وهو الفلاح المجرب .

وقد تحدث مرة عن قيمة هذه الرقعة التى نسميها اليوم
بالجزيرة وفيها الخزان والمشروع . سألوه مرة عن حدود
السافل والصعيد قال :

الصعيد من أم طَرْفَاية

والسافل من الحلفاية

وبينهما أرضا عَيْدَكِيَّة

تربى الناس والسعية

وفى قول آخر تربى الضان والسبعية . أم طرفايه بالقرب
من سنار أما الحلفاية فواضح موقعها - حلفاية الملوك
أما كلمة عيدكية فلعلها الارض الخصبة السوداء
والله أعلم ..
وينطبق قوله على أرض الجزيرة وهى الرقعة الواقعة بين
أم طرفاية والحلفاية ومن حكمه قوله :

السفر بالبيوت والكلام بالخيوط

وفسروه بالقطارات والكلام بالخيوط تعنى الهاتف
« التلفون »

سأل الشيخ صديقا له من أهل البادية وكان لا يصلى ..
قال الشيخ :-

لماذا لا تصلى ؟

البدوى : أصلى ان شاء الله بعد فوات الشتاء ودخول
الصيف ..

الشيخ :-

أكان اتهدم القيف
قُبَالَ دخول الصيف
الشورة كيف

القيف شاطئ البحر والمعنى اجمالا اذا مت قبل دخول
الصيف فكيف يكون موقفك ؟! ويلاحظ المرء أن أحاديث
الشيخ وأقواله كلها مصاغة فى قالب شيق .. سأل أحد
الاصدقاء أن يعيره بهيمة لبن لفداء أطفاله .

قال الشيخ : أعطيك ناقة
 الرجل : لا أريد الناقة
 الشيخ : أعطيك بقرة
 الرجل : لا أريد البقرة
 الشيخ : أعطيك بنت ضأن
 الرجل : لا
 الشيخ : بعد هذا اظنك
 تريد أم سبيب
 أم مشيا خبيب
 أم رعايتا شبيب
 البتجى للبيت قبل المغيب
 دى ما بدوها
 الا الحبيب القريب
 المعنى : السبيب صوف المعزى والخيب مشيها السريع
 وهى عندما ترعى الشجر فانها تشب (تشب) على رجلين
 والمقصود من القصة كلها مكطفة الرجل وتطبيب خاطره .
 الرجال :
 وللشيخ رأى فى الرجال بل اراء فى الرجال والنساء نمهد
 له بحكمته المعروفه .

انا البطحاني
 العارف باطن الزمانى
 اسمعوا قول لسانى
 ولا تروموا الهوانى

البطحانى : نسبة لقبيلته (البطاحين) الخبير باسرار
الحياة (باطن الزمان) اسمعوا قول لسانى اسمعوا منى
مباشرة ولا ترموا الهوانى ولا تقموا فى الهوان قال عن
الرجال :-

الرجال فيهن بحور

فيهن رخم فيهن صقور

فيهن ردى ولدت نكور

ضايع عمره فى شرب الخمر

المعنى : ان الرجال فيهم من هو مثل البحر كرما وسخاء
ومنهم (رخم) والرخم من الطيور (الخاملة) والصقور هى
الجوارح ويشبه بها الرجل الشجاع . وفيهم ايضا الردىء
الخامل ولدت نكور (ابن منكر) .

ثم يقول عن الرجال

فيهن وهيطة مثل السرير

فى البلد قط مالى نظير

فيهن اغم من هو صغير

يتكازى رى دحش الحمير

المعنى : ان من الرجال من هو مثل السرير كناية للراحة
والسعة فاهله ينامون على ظهوره ومنهم اغم فاشل منذ
صغره يتكازى . المكازاة بمعنى المخالفة مثل الجحش
العنيد .

الرجال فِيْهِنَّ كَلُوسٌ
 فِيْهِنَّ غَنَمٌ فِيْهِنَّ تِيُوسٌ
 فِيْهِنَّ شَقِيٌّ وَلَدَتْ نَحُوسٌ
 ضَيْعَ عَمْرِهِ فِي شَرْبِ
 الكدوس

المعنى : منهم كلوس (الكلس) الرجل الفحل القوى .
 وفيهم ايضا من يلزمه النحس منذ صغره (ولدت نحوس)
 وشرب الكدوس الدخان مربوط فى زمنه يشرب الخمس .
 ويقول .

فِيْهِنَّ صَبُورًا مِّنْمَهْلٌ
 سَالِمٌ مِّنَ اللُّومِ وَالْفَسْلِ
 فِيْهِنَّ تَخِينًا مِّنْدِيلٌ
 هُمُو فِي النُّومِ وَالْاَكْلِ

المعنى : منمهل ، الرجل الماهل هو كريم الاخلاق .
 الفسل النقص والعيب . اما التخين المنديل فهو السمين
 الخامل الذى لا يهتم الا بملىء بطنه .

الرجال فِيْهِنَّ الْهَمِيدَا «١»

مَشَيْتُو سَقِيدَا «٢»

وَآكَلَتُو نَقِيدَا «٣»

ان ضرب ما بِفَشٍ غِيدَا «٤»

وان قنص ما بِجِيْبٍ صِيدَا «٥»

المفردات : الْهَمِيدَا - الهامد الخامل (٢) سَقِيدَا السقدة ،

طير معروف من بفاث الطير يكنى به للضعيف .
(٣) اكلتو - اكله نقيدا - ينقد الطعام نقدا شأن الرجل
الضعيف .

(٤) ما بفش غيدا - فش الشيء - افرغه - غيدا اصلها
من الغيظ - يعنى مثل الرجل ان ضرب خصما فلا يشبفى
غليلا .

الرجال فيهن كَمَكَمَّ «١»

قفا الفاس الملقم «٢»

عند اللقمة القَمَّ القَمَّ «٣»

عند الحديث عجلاً مَشَكَمَّ

المفردات : كمكم ، تستعمل للرجل القوى كمك وتعنى
ايضا الرجل الاصم البليد .

(٢) الملقم ايضا بمعنى الاصم القفل

(٣) اللقمة يكنى بها للشرة عند الاكل

(٤) عجلا مشكم - العجل المشكم - الشكيمه - شبكه توضع

على فم العجل فلا يخور ولا يأكل ولا يرضع فيظل حيرانا .

فيهن مَرَابِطُ فى الدرب

سافل صعيد شرق وغرب

فيهن فتنه للحرب

مثل الكلاب يوم الضرب

المعنى : المرائب فى الدرب هو الكريم الذى يتصدى

للضيوف فى الطريق ويدعوهم لداره

(١) كمكم - الكمك فى العامية القوى الضخم

(٢) قفا الفاس - كناية لقوته

(٣) اللقمة كنى بها للاكل

فِيهِنَّ أَصَمٌ
جَامِعُ الرَّأْيِ وَالْفَهْمِ
فِيهِنَّ دِينَكِيْسًا اَغْمٌ
هُمُو بَسْ لِيْمُ الْخَلْمِ

المعنى : الاصم الرجل الصميم العميق ، اما الدينكيس فهو
الغبى الخامل الذى لا هم له غير ارتياد البيوت المشبوه ،
نواصل حديثه على وتيرة اخرى عن الرجال •

نَعْمَةُ الرِّجَالِ الْحَاكِرِينَ
عَدَلُوا مَقَامَاتُنْ سَاكِنِينَ
أَخَذُوا الْحَرِيمَ وَلَدُوا الْجَنِينَ
حَرَّتُوا الْأَرْضَ عَيْشًا تَخِينِ

المعنى : يثنى على الرجال المستقرين المقيمين (الحاكرين)
والحاكر هو الصابر المستبسل مقاماتن منازلهم •
وبعد بناء البيوت تزوجوا وانجبوا وزرعوا الارض
وحصدوا عيشا (تخين) •• نواصل معه الحديث

نَعْمَةُ الرِّجَالِ أَهْلِ الْعُقُولِ
تَبَعُوا النُّصُوصَ مَا هُنَّ غَفُولُ
مَا هُمُوا بِالنَّوْمِ وَالْإِكْوَلِ
مِثْلُ الْجِبَالِ وَسَطِ السَّهْوِلِ

المعنى : اكرم بالرجال الذين يستعملون عقولهم بمتابعتهم
للنصوص الشرعية ولم تشبهم الدنيا ولم يكن همهم
الشاغل النوم والاكل •

والواحد من هؤلاء ، ظاهر مثل الجبل فى وسط السهل

نعمه الرجال أهل الشعاع
صَبَّوْا البطون رَقَدُوا جِياع
جمعوا العيوش دَارُوا

النفاع

يَزَابُوا كيف جَرَّو السباع

المعنى : اكرم بالرجال الذين يلوح على وجههم نور
الايمان ويمدحهم ايضا بأنهم أهل كدوجد لانهم يزرعون
ويحصدون من أجل المنفعة العامة والخاصة (جمعوا
العيوش داروا النفاع) اما المزباه فهى المنافسة عند الخطر
والمغرم فهم يخضون غمار الخطر ويتدافعون كما تتدافع
السباع الكواسر . وقال ايضا على وتيرة اخرى .

ود الحلال قط ما يَغِيب
العُقْبَ الفِئْلَ كيفن يطيب
انظر وليدات الدييب
من هم صغار ليهن شبيب

المعنى : ان ابن الحلال لا يَغِيب الظن به وان الاصل
الرخيص (الفسل) لا يطيب والشيخ يعنى ان الجبل
والطبيعة من العسير تغيرها الا بالحكمة .
ويضرب المثل بصغار (الدييب) فهم منذ صغرهم يتواثبون
للشر بفطرتهم وطبعهم .

المرأة :

وكما كان له رأى عن الرجال فله رأى أيضا عن النساء
ونبدأ كما بدأ الشيخ ، قال :

بعد الرجال شوطَ الحریم
فانظر قصصهن يافهم
فيهن ذهب مغزون قديم
فيهن نحاس خارج رميم
فيهن عقارب ساكنات هشيم

المعنى : شوط الحریم سيرتهن وقد وضبح امرهن اما
(العقارب) ساكنات (الهشيم) فالهشيم الشجر القديم
والمحل الوعر فهو مظنة سكون العقارب .

فيهن كفوت
فيهن لفوت
انت تجى من الخلا
هى تجى من البيوت
لاتدّيك مقوت
ولاتغلى كلمة تفوت

المعنى : الكفوت اللفوت ، ضرب من المشى القبيح ومع قبح
مشيتها فهى لفوت كثيرة الالتفات وهو مما تدم به المرأة .
المجىء من الخلا ، الخلا محل العمل ومحل الزراعة اما
مجيئها هى من البيوت بمعنى انها لا تستقر ببيتها (المقوت)
مجيئها هى من البيوت بمعنى انها لا تستقر ببيتها (المقوت)

فِيهِنَّ وَلَدَتْ كُذُورٌ
 شَيْتَانًا يَأْخُذُوا وَشَيْتَانًا يَبُورُ
 شَيْتَانًا مِثْلَ دُهَبِ الْخُضُورِ
 شَيْتَانًا يَسْتَاهِلُ عَصَرَ الْقُبُورِ

المعنى : الكدور من الكدر يعنى بها القبيحة الخلق ، شيتا
 ياخذوا . يتزوج واخر يبور زواجه .
 ومنهن من فى نفاسة الذهب « الحضور » طبقة من التجار
 فى ذلك الزمان ، ومنهن من تستاهل دفنها وهى حية
 « يستاهل عصر القبور » وهى المرأة المجرمة الخائنة .

فِيهِنَّ ثَقِيلَةٌ مَّا بَتَّحُومُ
 مَا ضَاوَقْتَ الْحَرَ وَالسَّمُومُ
 فِيهِنَّ تَعْيِيسَةٌ مَّا خَايِفَةُ لَوْمِ
 كَسْلَانِهِ مَّا بَتَّقَدَّرُ تَقُومُ

المعنى : ان من النساء الفاضلة المستقرة بدارها والتي لم
 تتعرض للهجير والسموم بسبب خروجها الكثير من منزلها .
 ومنهن التعيسة والتي لاتخشى الذم ورغم ذلك كسولة
 لا تستطيع حراكا من شدة الخمول .

فِيهِنَّ عَوِيْلٌ
 فِى بَيْتٍ جَارَاتًا ثَقِيلِ
 اِنْ شَافَتْ عِنْدَكَ زَوِيْلٌ
 تَنْهَمُ الْبَدَالُ تَكِيْلِ

المعنى : العويل تحقير والعويل فى العامية الصغير
الشان ، وهى ابدأ تقضى نهارها فى البيت جاراتها وتلك
مذمة .

وان رات عندك ضيفا (زويل) تصغير زول ، « تنهم »
تنادى على « البدال » التاجر والتجاره كانت معظمها بالمبادله
المفايضة المعروفة .

بَتَّ الحلال :
بت الحلال إن إتلقت
لى مال كثير ما إتلقت
فوق الرجال ما حلقت
لامن تموت ما اطلقت

المعنى : ان وجدت المرأة بنت الحلال وهى السهلة الميسورة
التي لا تلتفت للمال الكثير ، وهى التي لا تطوف ولا تدور
متبرجة متبذله ، فمثل هذه المرأة هى التي تحسن المعاشرة .

بَنَّت الحلال وين تتلقى
إلا سعيدا مؤ شقى
ان جابت ولد يطلع تقى
وان جابت بت تترجى

المعنى : وهذه لا تتيسر الا للسعداء ، وهذه المرأة ان انجبت
ولدا خرج تقيا بارا وان انجبت بنتا تشب أيضا مطيعة
ومجمل القول أن التربية الاصيله لا بد أن تأتى أكلها .

بِئْتِ الحرام وجع الصدر
خلطت بخور صندل ضُفُرُ
قالت سلام يا أهل الجزر
وفى بالآ معنأياً كُتُرُ

المعنى : ان المرأة القبيحة الشقية التى تسبب الالم النفسى
هى من تلك الشاكلة التى تتطيب وتتعطر وتخرج للسوق أو
محلات الاجتماع تحبى هذا وتتحدث مع ذاك وفى بالها معنأيا
كثُر . فى بالها معنى آخر ! من الخبث .

أم الشيخ :

سألته احدى النساء بعد أن شاع حديثه عنهن . .
المرأة : هل أمك مثلنا يا شيخنا
فرح : نعم أمى مثلكن ولكن عندها حسنة واحدة
المرأة : ماهى حسنة أمك
فرح : عندها نص قلب
المرأة : كيف ذلك

الشيخ : نص قلب . هى بالشرق . وهو بالغرب
وانتهى حديثه معها بهذا الكلام الرقيق فانصرفت المرأة

الفقير والامير :

يتحدث الشيخ فرح بأسلوبه المسجوع الطريف فيقول فى
المقطع التالى :-

تبا للفقير وهو « الشيخ » ان لم يتق الله فى سره وجهره
ويقبل على الآخرة والذى يكون سلوكه هذا لابد أن يكرم الله

في الدار الآخرة ويكون سألًا من العذاب .

دُبَّ الْفَقِيرُ أَمَا إِتَّقَى

وَأَقْبَلَ عَلَى دَارِ الْبَقَا

يَوْمَ الْجَمْعِ وَيَوْمَ الْمَلَاءِ

يَسْلَمُ مِنَ اللَّوْمِ وَالشَّقَا

ثم يقول عن الفقير (دب) تبا للفقير ان حاد عن الطريق
السوى واصبح من دعاة الحرب والشقاق وترك وظيفته
الاساسية الاصلاح الاجتماعى . وجملها فى قوله .

دُبَّ الْفَقِيرُ إِنْ طَلَّقَ الدَّرْبَ

وَشَالَ عَصَاتُو وَدَخَلَ الْحَرْبَ

كُلَّ لَيْلَةٍ فِي هُوشِهِ وَضَرَبَ

دَاخِرَ مَنْوِ الْكَلْبِ

ويتابع حديثه عن الفقير تبا للفقير ان لم يتحرز ويحافظ
على دينه ويمنع عن الشر ويترك النوم والكسبل ، وهى :

دُبَّ الْفَقِيرُ أَمَا احْتَرَزَ

مَا تَابِعَ النَّوْمَ وَالْعَجْزَ

..... وَقَدْ نَجَزَ

نواصل مع الشيخ حديثه عن المشائخ

دَبَّ اللسانُ أَمَّا اسْتَدَارَ
من المقامات ٠٠ الكبار
القائم بعيد سَمَعَ الخبار
بعد الفرس عِدَمُوا الحمار

تبالسان ان لم يترك الحديث في خيار الناس ، ويعنى
الشيخ الذين لا هم لهم غير تجريح الناس وهؤلاء
الهمازون التمامون يأكل الفيظ قلوبهم حتى انهم عدموا
كل شيء (بعد الفرس عدموا الحمار) .
وتحدث عن الامير وهو الحاكم في ذلك الوقت يقول تبا له
ان لم يتحرى الصدق في حديثه وفعله ويترك الحقد على
الناس ، وجملها في قوله :-

دَبَّ الاميرُ أَمَّا صَدَقَ
وترك المقاييسَ والعنقُ

ويواصل حديثه عن الامير ، فيقول تبا للامير ان لم يكن
عارفا واعالما بشئون من يحكمهم وينبغى للامير ان يكون
دقيقا في كل كلمة تصدر منه وان لا ينحرف عن الطريق
القويم فان كان كذلك يكون خيرا وبركة على قومه .

دُبَّ الأميرُ أَمَّا عَرِفُ
من العديل ما بنعرف
آخر الزمن

يتحدث الشيخ عن آخر الزمن ويحكى عن «النكت» وهي
الاحداث الغربية وجملها فى ذهاب التعاطف «المحنة» وجفاء
الابناء للاباء وخروج المرأة الحرة كاشفة حاسرة وان
زجرتها ووبختها اشتكت للحاكم .

ويضيف انه بعد هذا الحال ذهبت صالحات النساء ولم
يبق من النساء الا اجسامهن بلا ارواح وكذلك ذهب خيار
الرجال وذهب أيضا الحلال . والصدق أوصدت أبوابه وكل
من يعرف الحق خرس لسانه .

قال :

آخر الزمن شوف النكت
المحنة راحت ما قبلت
الجنا للوالدين جفت
وأهل المحنة اتقاسرت
العانى للسيد ما اتلفت
العره مثل الخادم مشت
رمت الثياب اتكشفت
ان هبشوها راحت شكت
راحوا النساء تلت النكت
راحو الرجال تلت الجت

وراح الحرام فَضَلَ السَّحَّتْ
الصَّحْ دَرُوبُوا اسَدَدَتْ
وكله البعرف العَق سَكَتْ

آخر الزمن الارض تشيب
والبرق القبلى يخيب
وبت الرجال تعيب
والغلط يجى من القريب
المعنى :-

البرق القبلى هو البرق المعروف «بالعبادى» ولا يخلف هذا
البرق الظن ابدا حسب تجارب الالهالى الطويلة .
ويتحدث ايضا عن اخر الزمن ويدعو الناس ويشير عليهم
ان يسمعوا الراحلة السريعة والاشبهاره واضبعه لسرعة
المواصلات ويحث على تحرى الزوجة المطيعة التى تعين على
الحياة .

آخر الزمن
اسعوا الدابه السريعة
واخذوا المرأة المطيعة
وقال ايضا يوصى الناس ان ينتجعوا فى اخر الزمان
الصعيد فيبنوا الحظائر ويشددوا عليها الحراسة وان
يتزاوجوا مع الاغراب .
وهى دعوة لحرية الاختيار اذ درج مجتمعه على زواج
الاقارب بعضهم من بعض .

آخر الزمن
زَرَبَ وَكَلَبَ
بَعْدَ وَصَّعَدَ
وتزوج المرأة الغربية

المريسة

كما تحدث الشيخ عن جميع وجوه الحياة تحدث أيضا عن
الخمرة المعروفة « بالمريسة » بطريقته المعهودة .

المريسة
مُرَّةً وتعيسة
تَأْكَلُ الْقَطِيسَةَ
وتمرق الكلمة الغبيثة
وتُورث النَّبِيشَةَ

خبزوها وجابوا الصَّفَاية
اتجمعوا فوقاً أهل الرايه (١)
في التوحيد ماليهم غايه

(١) الراية - راية ترفمها صاحبة العانة لتدل عليها

صفوها من عصرًا بادی (١)
 واجتمعوا فوقًا القدادی (٢)
 ابليس ليهن قاضي
 من ملة محمد غادي

الدنيا :
 الدنيا وكت ترشك
 ما تصدقها بتغشك
 يوم تصد منك تكشك
 بي مناجلها بتعشك

الدنيا وكت تقيمك
 لا تصدقها بتضيمك
 يوم تجيب ليك غريمك
 الرجال تاخذ حريمك

(١) عصرًا بادی - أول دخول المصر
 (٢) القدادی - جماعة السكر - والفدة لعلها من الفداء أو المفاداة

الدنيا الدِّنيه
في آخر الدنيه
تَبْقَى يَا عَن فداديه
يا عربى تابع سعيه
يا لئيمًا ايدُو قويه

الدنيا دَرَدَرْتَنِي
في هوها وَدَرْتَنِي
وَرَدَّتَنِي وَسَدَرْتَنِي
مَارَتَلِي كبرتني

الدنيا وكت تَجِيكُ
بالفِسل ما بتستحيك
تكتل أمك وتكتل أبيك
وما في أحدًا يصطفيك

وفي آخر أيامه كان يردد بأسلوبه الفكه هذه العبارات :

الليلة يا ود تكتوك
الشايب المهلوك
وين أمك وين أبوك (١)
وين اخوانك الحبوك
وين الرجال أهل السلوك
وين السلاطين والملوك
كم يحسبو المال لكوك (٢)
رئيتن وما رؤوك
سكنوا التراب فوقن دكوك (٣)
الليلة جاتك في أم سمبوك (٤)

(١) وين - بمعنى أين

(٢) لكوك - سبانك

(٣) دكوك - الدك التراب وتمنى دكوك طبقات من التراب

الفصل الرابع

الشعر والشيخ

ذكر ود ضيف الله في ترجمته للشيخ فرح انه كان شاعرا ماهرا وكلامه مطرب وجاذب للقلوب .
وظنى أنه كذلك اذا وضعنا في الاعتبار شعر تلك الفترة من الزمان .

شعر المحاكاة والتقليد والتشطير واثر البديع واضح على شعر تلك الفترة .

ويبدو أن الشيخ فرح لم يكن هدفه من الشعر النسيب أو الفخر أو أن يقرض الشعر من أجل الشعر .
انما وظف شعره لخدمة قضايا مجتمعه التربوية والاخلاقية بل الاقتصادية كما سنرى .

ولاريب أن الشيخ فرح كان يعرف أحوال مجتمعه وما يدور ويعتمل في أذهان الناس .

وقد فطن شيخنا فرح أن مجتمعه له ميلا فطريا وتعاطفيا شعوريا مع الكلمة المنظومة ذات الايقاع أكثر من أى شكل تعبيرى آخر .

وأحسبه طرق الشعر من هذه الزاوية .

هذا ورغم بعد الشقة الزمنية التى تفصل بيننا وبين عهد الشيخ فرح فاني أكاد أجزم بصحة الاشعار التى أوردتها فى هذا الكتاب منسوبة اليه .

وذلك لعدة احتمالات وأسباب أوجزها فيما يلى :

أ - وجود وثائق خطية كتب عليها معظم شعره وثقتى فى

تلك الوثائق ومن وجدتها عندهم كبيرة وهم يولونها عناية
فائقة فمثلا وجدت أحدهم (١) يحفظها بالوسيلة التالية :
المكان جزء ملحق بالبيت أشبه بالمخزن أو « القطيع »
ولا توجد به نوافذ سوى باب واحد والغرفة أبدا مظلمة
ورطبة .

وهى الوثيقة التى بها القصيدة المعروفة :

يا واقفا عند أبواب السلاطين

أرفق بنفسك من هم وتحزين

والمخطوطة محفوظة داخل غلاف من الورق القديم والغلاف
محاط بخرقة قماش سوداء وقطعة القماش وما بها داخل
علبة صفيح مربعة الشكل على هيئة الحجاب المعروف الذى
تعلقه النساء على أعناقهن ويتدلى حتى نصف الساق ..
والعلبة تلك داخل وعاء من الجلد « جراب » .

وكل جيل يمضى ويتركها للجيل الذى يليه لا بحسبانها
أثرا أدبيا وحسب

ولكن بحسبانها حرزا وشيئا عزيزا يتيمنون ويتقون به
عين الحسد والشتم ..

وهذا سلوك معروف عند عامة الاهالى فى وسط السودان
وقليل منهم من يهتم بالقيمة الادبية والتاريخية فى حسد
ذاتها .

ب - الشيخ فرح ممن يظن بهم الصلاح ويعد من المشائخ
الذين لهم احترام كبير .

وقد عودنا أهل السودان هذا السلوك فيما يتعلق
بمشائخهم لانهم يخشون بأسهم ويرهبون بطشهم فلا
يَقُولُونَهُمْ ما لا يقولون .

ولكن المرء يستثنى بعض التلاميذ الذين يشتطون في مدح
مشائخهم ففي غمرة حماسهم تلك يضيفون وينسبون لهم
أشياء لم يقولوها أو لم يفعلوها .

ج - وقد ظهرت في وقت لاحق بعض أحاديث وحكم
تتساق ولهجة الشيخ فرح ولكن أصحابها لم يجدوا قبولا
اجتماعيا يتفاعل مع أقوالهم .

فنسبوا « وبحسن نية » للشيخ فرح لعلها تجد القبول
والسيرورة . منها المقطوعتين اللتين أوردتهما منسوبتان
اليه الكلمة الاولى :

آخر الزمن

يَجُوالانْقِلِيسا

وغفيرن البوليسا

والاخرى :

آخر الزمان

يَجى الخزان

وقد بنيت شكى في نسبة هذا القول للشيخ فرح .

ه - معظم القصائد المنسوبة للشيخ فرح نجد اسمه في

صلب كل قصيدة منها .

وهذا أسلوب اشتهر به السلف من شعراء الصوفية . .

تضمن اسم الشاعر عند نهاية المدحة أو القصيدة .

وقد شاع هذا الأسلوب في السودان عند كل النظامين وأصحاب شعر المديح النبوى والصوفى وتعداه لشعر الحكم الذى مارسه الشيخ فرح وغيره .

د - لم يزاحم الشيخ فرح مزاحم من أهل وقته فى مجال الشعر السلس المزوج بالحكم والطرائف وهذا سبب يبعد الشك فيما ننسبه للشيخ فرح .

هـ - ثم جاء بعد فترة لاحقة الشيخ العبيد ود بدر وقد جارى الشيخ فرح فى أسلوبه السلس الفكه .

وربما حاول الشيخ العبيد متابعة نهج الشيخ فرح وينسب للشيخ العبيد انه قال :

سألت الله أن يعطينى ثلاث مسائل فأعطانى إياها . .

سألته أن يعطينى « كرم » أبوى الشيخ ادريس ود الارباب

فأعطانى

سألته أن يعطينى « ثراء » أبوى الشيخ حسن ود حسونة

فأعطانى

وسألته أن يعطينى « لسان » أبوى الشيخ فرح فأعطانى

ورغم هذا فأحاديث الشيخ العبيد ومسجوعاته معروفة ولها دلالاتها التاريخية والاجتماعية وهى غير اشارات وشواهد الشيخ فرح المعروفة لدينا .

و - معظم الذين التقيت بهم من رواة وحفظة سيرة الشيخ فرح من غير المتعلمين وهم يحفظون بالسماع واللقن وعندما يحفظون الشعر الفصيح لا يابهون باللغة والاعراب فأشاعوه بين الناس من غير اعراب ولا ضبط .

وربما تأثر هذا الشعر بعنصر الزمن اذ ظل ينقله كل جيل

للجيل الذى يليه فشاخ الاضطراب كالقصيد « طريقتى »
 الشيخ ينظم ويسجع معظم احاديثه وحسب مقتضى الحال
 تارة باللغة العربية الصحيحة وتارة بالمزاوجة بين الفصح
 والدارج وأخرى باللغة الدارجة وعموما فان القارئ
 يجد شعره مليئا بالحكم والتجارب والفوائد وهذه صفة
 الادب الانسانى لان الغاية من الادب شعرا أو نثرا هو
 تحريك الشعور العاطفى وبالتالى العقلى عند الانسان لتغيير
 واقع مؤلم لغد أفضل ثم المتعة التى صبغت شعر الشيخ *
 هذا ويحسب الشيخ فرح على رأس شعراء عصر الفونج اذ
 استطاع أن ينقل الشعر الشعبى نقلة جديدة بالشعيل *
 وأمثال الشيخ فرح قليلون فى هذه الناحية ، فقد ظهر فى
 شعره النزعة الصوفية الممتزجة بالواقعية المستمدة من صميم
 الحياة والمجتمع لنستمع الى قوله وهو ينصغ المزارعين وكان
 هو نفسه يشتغل بالزراعة :

أرفع التَّرسَ وَأَطْبِقُ الحُفَارَ
 وما تَابَى الخِدْمَةُ فى النهارِ العارِ

طريق :

سالوه ذات مره عن طريقته فاجاب ان طريقه طريق محمد
 وانه بعد اداء ما عليه من الفروض الاساسية الدينية منها
 والاجتماعية يملا فراغه بسيرة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ورجزها فى هذه المنظومة :-

اذا ما الجاثرون عليك صالوا
 تلذذ بالصلاة على محمد
 اذا وقفوا بباب الله قوم
 فاقرعهم بالصلاة على محمد
 اذا صبَّ عليك مطر البلاوى
 توقاه بالصلاة على محمد
 اذا كنت فى امر مهم
 فبدر بالصلاة على محمد
 اذا الملهوف نادى مستجيرا
 فلا ادرى له الا محمد
 اذا المكسور لم يلق جيرا
 فتجبره الصلاة على محمد
 اذا المديون لم يلق وفاء
 فتكفيه الصلاة على محمد
 نعم كل السعادة فى محمد
 فياسعد الذى يلقى محمد
 جعلتها مسندى وعماد ظهري
 فما الى ملجأ الا محمد
 هو الكهف الذى تاوى اليه
 جميع الخائفين نعم محمد
 هو الجبل المتين بلا انفصام
 وعروة ربى الوثقى محمد
 فان كان الرجال لهم شيوخ

فشيخي الصلاة على محمد
إذا كان الرجال لهم طروق
فأنا طرقي الصلاة على محمد
إذا كان الفـزاة لهم دروع
فأنا درعي الصلاة على محمد
جميع الحارثين لهم بذور
وأنا بذري الصلاة على محمد
جميع الخائفين لهم حصون
وأنا حصني الصلاة على محمد

العلم :-

العلم نور لا يماثله ضياء
والجهل ليل اسود مثل السجم
العلم نور ما راينا مثله
والجهل فى الكفر والعصيان لم
علم العقائد كالشموس اذا بدت
يجلى سواد القلب من هم وغم
علم الشرائع بدر ليل مظلم
فيه يجد السائرون على العلم
علم التصوف ذاك اكسير به
يغنى الفقير من الدراهم والنعم
والنحو ذاك سفينة تطوى بها
لجج البحار من موج ملططم
من يشتم العلماء او يغتابهم
اخشى عليه مثل عباد الصنم
ولحومهم قالوا لنا مسومة
والسم شاربة يموت بلا سقم
ويل لباغضهم اذا زفرت لظى
يكسى من القطران درع كالفحم
اسمى فاء ثم راء بعدها
والحاء ثلاثة الحروف قد ختم
وقبيلتى بطحانى قوم بالفضلة
ترعى بادية السيال مع السلم

بليل :-

بليل بن محمد بن عيسى شقيق الشيخ فرح وكان مقربا عند السلطان بادى ابو دقن اقصمه ان يقطع ارض مشروع الحجرات للشيخ فرح فاجاب وامضاها - له ولكن الشيخ وزعها على تلاميذه بالقسطاس والمؤسف انى لم اعثر على تلك الوثيقة التى فيها اهداء السلطان بادى ابو دقن وكان يرمى بهذا الفعل الى استمالة الشيخ لجانبه ، ووقوف مثل الشيخ فرح بجانب السلطان مكسب جماهيرى كبير .

ولم يفظن الشيخ فرح لغرض السلطان حتى فاتحه شقيقه (بليل) بكتاب ارسله من سنار والشيخ كان وقتذاك فى الصعيد فحوى الكتاب ان يحضر الشيخ وتلاميذه ويسكنون مع السلطان فى قصوره ان شاءوا ثم شرح بليل فى اخر كتابه كيف انه اصبحت مقربا من السلطان وانه اصبحت ادنى من قاب قوسين للشراء والبقاء والنعم الجزيلة احس الشيخ بان شقيقه تورط بالتزامه مجيء فرح للحاكم فكتب اليه كتابا اوجزه فى قصيدته المشهورة .

يارب صلى على المختار يسر
من كان صنعتته قهر الملاعين
يا واقفا عند ابواب السلاطين
ارفق بنفسك من هم وتعزين
فلما قرها بليل ثاب الى رشده ورجع الى اخيه مقتنعا
تائبا .

باب السلطان :-

يا وافقا عند ابواب السلاطين
ارفق بنفسك من هم وتحزين
تاتى بنفسك فى ذل ومسيكنة
وكسر نفس وتغريض وتهوين
اذا كنت تطلب عز لا فناء له
فلا تقف عند ابواب السلاطين
ولا تصاحب غنيا تستعز به
وكن عفيفا وقدس حرمة الدين
فالطمع يرميك فى ذل ومهلكة
وما يزيدك الا كل تهوين
والقانع نام قريرا لا كصاحبه
كماتنام غصون فى البساتين
فتق بربك لا تبقى سواه لجاه
والرزق منزله فى ختم يسر
وكم جرى طامع فى البيدمفترا
ولم يجد قصده فى الشام والصين
كم دودة فى عمق الارض من حجر
ياتى اليها رزقها فى الوقت والعين
الا لازم العلم والتقوى وما نتجت
من ثمار تفز بالخرد العين
خل الملوك بدنيا هم وما جمعوا
وقم بدينك من فرض ومسنون

واستغنى بالله عن دنيا الملوك كما
 استغنى الملوك بديناهم عن الدين
 واعلم بان الذى ترجوا شفاعته
 من البرية مسكين بن مسكين
 لا يقدر العبد ان يعطيك خردلة
 الا باذن الذى انشاك من طين
 مالى اذل المخلوق واسـاله
 وان سألت الذى أعطاه يعطينى
 الدين كنز عظيم لافناء له
 والمال عارية والله يهدينى
 من باع دينًا بدنيا واستغربها
 كأنما باع فردوسا بسجين
 فلاقمه من طعام البرّ تشبعنى
 وجرعة من قليل الماء تروينى
 وقطعة من قليل الثوب تسترنى
 ان مت تكفينى او عشت تكسين
 والحمد لله قد تمت قصيدتنا
 ونشكر الله فى سر وتعلن
 فرح الفقير كثير الذنب الفها
 منظومة لعبيد فى البطاحين
 يارب صلى على المختار يسـن
 من كان صنعته قهر المـلاعـين

الدهر

بدأت بسم الله في أول الخبر (١)
واحمده حمدا يزيد لمن شكر
ثم صلاة الله تترى على الذي
له المنصب الاسمي على سائر البشر
وتتلى بتسليم يفوق على البها
ويزكوا على صوف البهائم والوبر
وآل واصحاب كذا كل تابع
وتابعهم حتى نقوم من الحفر
وبعد فاني قد نظمت قصيدة
على بعض اخواني الذي فضلهم ظهر
فهتمت مقالتهن واحببتهم كما
احبو لنا بالقلب والحب مدخر
واسم له حسب النبي محمد
وابن اسيد شيخة والاب بحر
فقلت له سيدي ومحبنا
عليك بتقوى الله والنصح لاتذر
وسنة خير المرسلين طريقة
ولا تقتفى أهل التبذع والصور
واعرض عن الاكوان واقصد مليكهم
لترجع ليه في المنافع والضور
وسلم اليه وارضى بالحكم والقضا
وحكم رسول الله في كل ماشجر

(١) هذه القصيدة منقولة من مخطوط السمانى يوسف بسنار والقصيدة طويلة عدد أبياتها (٢٥٣) وهي كاملة في كتاب التراث الشعبى لقبيلة البطاحين
معهد الدراسات الافريقية الاسميوية - يوليو ١٩٧١

تعلم فان العلم يسمو بأهله
مكانا عاليا بعد ما كان محتقر
ورافق لاهل الدين والخير والتقوى
ولا تصحب الاندال يرموك بالضرر
وأقسط من الازمان فى كل ساعة
ووزع حقوق الوقت توزيع ذى بصر
تحذر ضعيفا فى المذاهب كلها
ولو كان عند البعض سام ومشتهر
تحذر فقراء الزمان بأسرهم
وأحسن بهم ظنا سوى البضع والصرر
وباعد رجالا عن نساء أجانب
ولو قائمين الليل أو صائمي الدهر
ومن ينتمى للطرق من أهل وقتنا
توقاه وأمسك ظاهر الشرع والخبر
ولا ترتضى مدحا بغير حقيقة
فكم أحمقا غره المدح وافتخر
فان نجيب القوم يدري لنفسه
ولا تلتفت الى قول من حذر
ولا تفتخر بالاهل والمال والبنات
تفكر اذا جاء الصيف للخضر
يزول كطرف العين من بعد زينة
كمثل شباب جاءه الشيب والكبر
ولا قى لحر النار بالنار مثلها

كما يلتقى الثعبان بالصل والدقر
 ولكن خير الناس كاظم غيظه
 وما سار فوق الارض سام كمن صبر
 تأنى ولا تعجل اذا رمت حاجة
 فان عجل القوم مخطى وان ظفر
 فليس اللعب يباح الا ثلاثة
 اذا أحتجت ربمها وما بعدها خطر
 ملاعبة الزوجين والغيل والقنا
 وتعليم مايرمى المقابل فى النحر
 وطفل اذا يبكى يجوز لامه
 ومن شاله طرا أناثا ومن ذكر
 وشاور ثقاب القوم وأعمل برأيهم
 وكن مستجيرا حيثما كنت فى الدهر
 ولا تك جاسوسا على الله يا فتى
 فان جواسيس الخليقة فى سقر (١)
 كحظ وتنجيم وقال ورملة (٢)
 ومن سائر الازلام فالخذر الخذر
 كبونى ومرجان وشمس معارف (٣)
 وخلخلة ثم السباب ذى الضرر
 طلاس أوفاق وما يشبهونه
 من القلم اليونانى فى السر والجهر

(١) الجواسيس ادعياء معرفة الغيب والله اعلم

(٢) النط والتنجيم والغال والرمل وماشاكلها اشياء نهت عنها السنة السمحاء

(٣) اليونى وشمس المعارف الكبرى واكام المرجان من الكتب المشبوهة التى تروج
 للطلاسم والسحر

وارفق فان الرفق خير ونعمة
لان كثير الرفق عال ومفتخر
وكن طيبا تأتي جميلا بمثلـه
وثلت لبطنك واقتفى النص في الخبر
ولا تكتم المهضوم وأسرع بفضـه
يريحك من كل ثـقيل ومن وقـر
وكتـمانه يرمى بداء وفالـج
وحجر بمر البول والـحرق والحـصر

وان قدر الرحمن صاحب حرة
فصاحب سلسلة من أم ومن ذكر
بغال وعم ثم جد وجدة
واخوانها مثل الشمس مع القمر

يصونون أعراضا ويرعون واجبا
ويقطعون في الاجسام كالفأس في الشجر
ثقات بلا كبر نصاح بلا ريا
عفاف بلا طمع كرام بلا ضجر
شجعان بلا خوف وبغير ملامـة
رقيقون قلبا للضعاف من البشر
وعمل باخلاص وعلم بخشـية
وصبر وحلم نعم في الناس من صبر

جبهتها بَدْرٌ وَتَبُّ عِيُونُهَا
 وشعر يحاكي غاسق الليل في العكر
 وحاجبها نون وأهدابها سمت
 وسن كمثل البرق في ليلة المطر
 مكوكبة في الفم كاعبة الثدى
 وضامرة الاحشا والقصر في الظهر
 فان أدبرت مهرا وان أقبلت جدى
 وان جلست سلطنة حولها الوزر
 ومزيونة في كل عضو جميلة
 من العضد والساقين والقدم والشعر
 وفعلها ميمون بعقل مكمل
 وطبع حسين نطقها النظم كالدرر
 موافقة ترضى ولو بقليلة
 تود لصاحبها ودا بلا بطر
 ومأمنة في المال والنفس باللقاء
 ومكنونة مثل الجواهر في الخدر
 جميلة أخلاق تحب مكارما
 عفيفة عرض ليس فيها من الكدر
 مصيبة رأى في تدابير عيشها
 منيرة أجسام تسرك في النظر
 فان ولدت بنتا غزال بقيعة
 وان ولدت ابنا كحيدر في الوعر
 تقبل يا الهى ما نظمت لصاحبى
 يكون حقيقا كل الفهم قد ظهر

وساعد لناظمه بسعد يصوته
من العصيان والسهر والفِرر
ونعم لتكتوك أبيه وأمه
واخوانه والاهل من سائر النفر
ثم الصلاة ما بدأ الصبح مسفرا
وغنت مطوقة على ذروة الشجر

الى عبد القادر

حكى أن بعضا من تلاميذ الشيخ عبد القادر بن هجو راجل أم قرازة زاروا الشيخ فآكرم وفادتهم .
ثم جلس يسألهم عن شيخهم وعن حالهم قالوا : خرجنا من شيخنا ومع كل واحد منا سبعة قرضات وسبعة تمرات وقبضة ذرة ونريد الذهاب الى الخلاء كي نتعب ثم سألهم عن فرائض الوضوء فلم يجيبوا وسألهم عن الصلاة والغسل فما أفادوه ..

قال لهم : أرجو أن يتخلف أربعة منكم لاعلمهم الضرورى من أمر الدين ثم يلحقون بكم ليعلموكم . لان عبادتكم هذه لاتزيدكم الا بعدا من الله .

فأظهروا الموافقة .. وباتوا ليلهم معه ثم استأذنوه فى الغداة للذهاب « فقادهم » وودعهم وسألهم فى الطريق عن الاشخاص الذين سيتركونهم قالوا : لا نفعل الا بعد الاذن من شيخنا . قال : أهلا وسهلا نرحب بكم متى عدتم أقرأوا منى السلام لشيخنا .. « جميعا » وانصرفوا وفى الطريق راجعوا حديثه معهم قال كبيرهم الشيخ فرح سب شيخنا ولا بد أن ننتقم منه هذه اهانة لنا ولشيخنا . يعلمنا فرح العرات ؟ وشيخنا قدر جبل بيلا .

وعادوا لخلوة الشيخ فرح والشرر يقدر من عيونهم فوجدوه فى صلاة المغرب فانقضوا عليه وعلى تلاميذه وأطروهم وابلا من الحجارة والعصى .
فصاح الشيخ فى تلاميذه قائلا :

- عليكم بالعود الفليظ (١)
 إِنْ ضَرَبْتَ يَهْجَاكَ (٢)
 وَإِنْ كَجَرَتْ يَحْجَاكَ (٣)

ودخل أصحاب فرح فى المعركة بكل حمية وانكسر جماعة
 عبد القادر وولوا الادبار وتبعهم جماعة فرح فأمرهم
 بالكف والرجوع عنهم ودخل خلوته وكتب هذه القصيدة
 وأرسلها للشيخ عبد القادر :

بسم الله أبدأ مستمعينا
 وتسليما على ابن الصالحينا
 سلام عدده مائتين ألفا
 ومضروبا بمثلـه أربعينا
 سلاما أبها من ضياء الشمس نورا
 وعند البدر عين الناظرينا
 وأحلى من ثمار النخل طعما
 وسكرا وعسلا للشاريينا
 وأحلى من عبيق المسك شما
 وغنبره كنـد فى المدينـا
 سلام أبرد من نسيم السواقي
 فى يوم الحر عند الصائمين

(١) العود بمعنى العضا

(٢) يهجاك - يسرك

(٣) يحجاك - يحبك

ولبن من لقوح بنت ابل
اذا حلبت تردف في الحنينا
من العبد الفقير الى المهيمن
ولد تكتوك فرح الفارحينا
الى الشيخ الذى قد عرفوه
ب عبد القادر الجبر الامينا
جزاه الله كم أصلح بلادا
وكم أحيا أناسا ميتينا
وكم نشر الخصائل والسجايا
وكم أسقى عطاشا حائرنا
وكم حفظ القرآن بلا رياء
وعلمه لاولاد المسلمينا
وكم تأوى اليه الناس طرا
وترجع بالمسرة فارحينا
ووالده هجو فارس الهيجاء
ومن ينسبوه لتاج الدين حقا
هو الشيخ المربى للجنينا
وسبب النظم هذا فى رجال
اتو منكم قدموا الينا
تلاقينا وسلمنا فراحا
باخوان لنا قوم مسلمينا

وجلسوا عندنا فى حسن حال
 جلوس الاتقياء المتأدينا
 امرناهم بامر فيه خير
 ونحسبهم من المتواضعيينا
 ولا غضبوا ولا قالوا كلاما
 ولا ردوا مقاتلتنا الحسينا
 توادعنا وقبلنا الايادى
 وساروا حامدين وشاكرينا
 وغابوا عننا وقتا قليلا
 وعادوا بالعشية محريينا
 اتونا فى الصلاة بلا حياء
 وفعلوا فعل شيطان لعينا
 فمنهم من ينف وله بكاء
 كأنَّ ابوه مقتولا رهينا
 ومنهم من يصبح وله صراخ
 وينقز نقزة الحمل السمين
 وعادتى احث على المعالى
 واهدى كل قوم حائرنا
 ولو لا . حق حرمتكم علينا
 لما عادوا بِقَدَمٍ سالمينا
 ولو كانوا ملوكا من قریش
 وابنا الحسين الشارفين
 ولكن النميمة أن تاتت
 تربى الفل بين المسلمينا

وما ينقلها الا شـقى
وابناء الزناة الخائنا
وهو والله من اصل دنىء
نباتا خاسرا من ارزلينا
جئتـك باعتذار يا اخي
قبول العذر فعل الصالحينا
وبعد العذر ننصحكم بامر
تميل له قلوب الغافلينا
اجمعهم وامرهم بخير
وحرصهم على الحق المبينا
فان قبلوا جزاهم ربي خيرا
وان نفروا لظي للنافرينا
وصلـى الله ربي ثم
سلم على الهادي شفيع المذنبينا

الصبر

الصبر عن والبكاء مذلة
الا لخمس ذنبهم مغفور
العالم المحي البلاد بعلمه
كالنيل او كالموضع المطور
والحاكم العدل المقيم على الوفاء
لا يفترى فى حكمه ويجور
والبازل البطل المغير على العداء
يشفى الغليل ويجبر المكسور
ثم الكريم جزاء ربي الف كرامة
ياوى اليه الضائق المضرور (١)

هذه القصيدة على نهج الحروف الهجائية اقتطف منها بعض
الاجزاء .

بالالف الامانة ان توفى الدين
احفظ للودائع والجوارح زين
صين نفسك من جميع الشبين
الزوجه ارعاها مع الوالدين
بالباء برهن فيه السعادة اليك
الرب يرزقك ولدا يبهدل بيك
بالتاء التوكيل والقناعة اخير

(١) لم اعثر على الوصف الخامس كما حدده الشيخ فى البيت الاول - الا لخمس ذنبهم مغفور

ارضى ان تكون بطنى الفصص حاصير
مقبوضا ذليلا فى البلاء والضير
بالثناء الثناء فيه المزيد معلوم
ما تبخل بنعمة ربك القيوم
اخدم بيمينك لو بقيت مسقوم
ما تمشى على باب الخلائق تحوم
بالجيم جالس الامين الحر
الخوان جلوسن فى اوانو يضر
انظر فى طعامات العسل والبر
كيفن يبقى ان خلط عليه المر
بالغاء يا أخى ها الزمن جاسوس
فى دار الزوال لا تصاحب المطموس
يدخل فيك كما دخل الهشيم السوس
بالدال الدوام بالامر والمعروف
العلم والعبادة كن بها موصوف
لازم للنصيحة والامان والخوف
ان جاتك مصيبة لا تكون ملهوف
بالراء الرصد للحر والمملوك
التابع هواه يا صاحبي مدروك
عجل بى طعامك للجايع المهلوك
العندو القليل يبقى كثير مبروك
بالعين علم اولادك القرآن

الصفات والايمان

اول الشروع فى المقـال

بسمه الرحيم الرازق الرحمن

ثم الصلاة على النبي محمد

السيد المبعوث من عدنان

مما يجب لله جل ثناءه

عشرون وصفا ثابت ببيان

واجب على كل مكلف يافتى

أنس وجن حرها والعانى

وهى الوجود وقدمه وبقاؤه

وكذا المخالف بساير الاكوان

وقيامة بالنفس جل جلاله

وهو الفنى الواحد الفردانى

وكذلك يجب بعد الذى قدمته

سبع تسموها صفات معان

وهى المفردات قدرة ازلية

متعلقان بسائر الامكان

والعلم قد عم الوجود وضده

والجائر الموصوف بالنقصان

وكذا الحياة وجوبها وثبوتها

من غير ما يوصف به العيران

والسمع لله الجليل الهنا

من غير اصمفة ولا اذنان

والبصر يتبعه اذا متعلق

فى كل موجود بلا عينان
 وكذا الحروف مقدم ومؤخر
 من غير اعراب ولا الحان
 وله الصفات قادر بمراة
 وهو العليم فى كل يوم شأن
 حى سميع باصر متكلم
 ومنزه على كل وصف . . دان
 والمستحيل على الجليل الهنا
 رب العباد الواحد الديان
 الفنا العدم وحدوثه وتجريده
 والعدم ان يأتى له طريان
 وكذا المائل للحدوث جملة
 حاشا المقدس ان يماثل فان
 فى جرمه اعراضه ومكانه
 كذا الجهات ووصفها بزمان
 والاحتجاج الى المحل لذاته وصفاته
 ومخصص الابداد والعدمان
 وكذا التعدد ذاته وصفاته
 والخلق اوجدها بلا ممان
 والعجز شىء لا يليق بذاته
 للفعل والاكرام والنسيان
 والجهل لا يوصف . . .
 كالظن والتشكيك والفعلان

والموت والصمم مباعد عنهما
 حاشا المقدس ان يكون عميان
 والبكم انفاه واثبت ضده
 وهو الكلام منزه الديان
 وأضداده الصفات المعنوية واضح
 قال السنوسى صاحب البرهان
 دلت على هذا الحوادث جملة
 قد صح فيه الفعل والتركبان
 رفع السماء بغير عمد تحتها
 والارض باسطها بلا اركان
 وكذ النجوم مسخرات بامر
 والقمر كالعسكر مع السلطان
 والطير فى جو السماء مسخر
 والريح سائرة بلا جنحان
 والشمس تبدو فى الصباح وتنتهى
 مع الغروب ويدخل الظلمان
 تاتى السماء تفيض ماء طاهرا
 والبحر مملؤ من الحتيان
 والارض تسوى وتكتسى بزخاف
 ويزيد خير يعجب السكان
 ويزول عنها خيرها ونعيمها
 يشبه هشيما يابس خسران
 والابل والبقر يكون براعى
 والوحش فى تيه بلا رعيان

والخيل عز والحمير خديمها
والبغل مخلوق من الجنسان
دبر امورا لا يحيط بوصفها
وكذا الجبال العاليات الشأن
وكذا جميع الخلق اتقن صنعها
منها اناث وبعدها ذكران
والعنكبوت ات بيت محكم
ما كان من قطن ومن كتان
وكذلك الزهور احكم نسجة
ومشبه للنحل فى البنيان
لكنه خال من الخيـر التى
قد جاء فيه الفضل فى القرآن
لاتحسبن الخير فى بنيانه
وأعلم ان الخير فى السـكان
لا ينحصر صنع الا له لناظر
ومشبه السفـل فى العليان
لكنها محصورة فى علمه
فى بطن فلك دائـم الدوران
لو كان ربى متصف بنقيصه
ما أوجد الاشـاء بالاتقان
لكنه كل الكمال يجب له
والعيب منفى مع النقصان
ارسل رجـالا من بنى ادم لنا
حقا بصدق بلغوا بامان

فالكذب شيئا لا يليق بشأنهم
 والنقص والتحيز والكتمان
 جائز لهم اكل الطعام وشرهم
 للماء والتزويج للنسوان
 وكذا يموت ويمرض ويسافر
 وقتال أهل الكفر والظفيان
 املاك ربي لا ذكور ولا نساء
 وهم اللطائف وجسمهم نوراني
 لا ينفلون عن ذكر ربي ساعة
 قد عصموا من سائر المصيان
 مما يجب تفصيلهم فالجملة
 والعشر نعرفهم على التبيان
 جبريل حفيظ ربي لرساله
 وكذا ميكائيل ٠٠٠ اثنان
 والثالث اسرافيل صاحب نفخة
 والقباض الارواح للعيوان
 وكذا نكير ومنكر وسؤلهم
 عن كلمة التوحيد والايمان
 وكذا رقيب وعتيد وحفظهم
 صاحب الشمال وصاحب الايمان
 واقول مالك في العذاب موكل
 وعلى الجنان موكل رضوان
 نزلت بعق واحتوت بمعارف
 للرسل من عرب ومن عجمان

لكن على التفصيل تعرف اربع
 واجب لها من جملة الايمان
 انجيل عيسى والزبور لسيدى
 التوراه لسيدنا ولد عمران
 انزل على خير البرية كلها
 داؤدو والرابع الفرقان
 عرب قريش من خير قبيلة
 وهو الشفيح لصاحب العصيان
 وابوه عبد الله جده هاشم
 سموه أحمد د جده عدنان
 بنت وهب تدعى بأمنة التى
 ولدت محمد كامل الاحسان
 واجب على كل مكلف ان يعتقد
 هذه الامور وينصب البرهان
 وكذا القيامة بعثها ونشورها
 والحوض والحشر والنيران
 وكذا الجنان نعيمها وثمارها
 وقصورها والحور والولدان
 ينظر لرب العالمين من
 غير تكيف ولا امكان
 وكذا يلبس من ثياب سندسى
 خضر واستبرق من الالوان
 يعطى الكتاب لكافر بشماله
 ويمينه المؤمن الايمان

تؤمن بقدر سابق في علمه
كالدرة والاجيال يا اخوان
وكذا السعادة والشقاء مقدر
وجرى بها المرسوم في الليحان
اسمى فرح بن الفقير محمد

وعليك صل الله طول الدهر ما
ضحك البراق .. وردف البسمان

المعشر

هذه المنظومة مبتورة لم اتمكن من العثور على مطلعها
ونهايتها . وهى تكشف وتنم عن ثقافة الشيخ والمامه
بحياة عصره ايضا .

كم حوى النمرود عساكر

كم فعل بيهن مناكر

للقيامة ماهو ذاكر

فى الخلائق ماهو فاكر

كم ملك قصرا وشيد

كم سجن قوما وقيد

كم دعى جيشا وايد

كم قهر ملكا مشيد

كم رفع شداد مشامخ

كم تعطر بى مرامخ

كم دفن فرعون دخائر

كم حفر ليهن حفائر

كم قلبت قبله جائر

... خلاها سائر

كم بنا هامان وعلا

فى القصور طلع ودلى

اندمر خلاها ولى

كم جمع قارون نفائس
كم جعل ليهن دسائس
كم له ابتكار العرائس
اندمر خلاها قانس

كم جمع قيصر جماعه
مدعين قوة وشجاعه

كم دعا البطلوس اعاجم
كم هجم بيهم هواجم
والدماس متل السواجم

كم بنى عاد وعمر
كم دعا هود ودمر
كم طفى سيلا وحرر
بعدها ولي وشمر

كم جمع كسرى خلائق
راكبين خيلا طوارق
الحديد ليهن مطارق
والدروع فوقهن سوارق